جامعة المنصورة
كلية التربية

البدايات النحوية لأصول البلاغة العربية

إعداد
د. السيد على محمد خضر
أستاذ النحو والصرف المساعد
قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية - جامعة المنصورة

مجلة كلية التربية - جامعة المنصورة - العدد ٧٩ - الجزء الثانى - مايو ٢٠١٢

البدايات النحوية لأصول البلاغة العربية

المقدمة

عرف العرب الدراسات اللغوية في وقت مبكر من عمر الثقافة العربية الإسلامية ، فقد نزل القرآن بلغتهم لكن في أسلوب وبيان معجز وطرائق جديدة في التعبير لم يعهدوا مثلها من قبل مع أنها من لغتهم أصواتِها وحروفِها ومفرداتها وعلى نهجهم في تركيب الكلام الذي صار يعرف فيما بعد بعلم العربية أو النحو ، وقد تساءل الناس منذ عهد الصحابة عن معاني بعض ألفاظ القرآن الكريم ، كالذي روي عن ابن عباس مما جاء في كتاب الإتقان للسيوطي :" بينا عبدُ الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناسُ يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عُويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى ﴿ **عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِـزِينَ** ﴾ (المعارج:٣٧) قال ابن عباس : العِزون: حلق الرفاق ، قال نافع: وهل تعرف العربُ ذلك ؟ قال نعم أما سمعتَ عبيدَ بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يُهرعون إليه حتى يكونوا حولَ منبره عزينا

ويستمر نافع في السؤال وابن عباس في الجواب على هذا النمط حتى تصل الأسئلة إلى مائة وتسعين مسألة " [١].

وحين ازدهرت البصرة واتسع عمرانها بعد مرحلة الفتوح الإسلامية صارت مجتمع العلماء وطلاب العلم من كل حدب وصوب ، فازدهرت فيها العلوم وعلى رأسها علوم اللغة والأدب وصارت ملتقى للشعراء والأدباء في مربدها .

---

[١] – انظر: السيوطي:الإتقان في علوم القرآن:٣٨٨/١ وما بعدها ، ط دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٤م وقد شرحتها وفصلتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها" الإعجاز البياني للقرآن" ط دار المعارف ".

وعلماء العربية الأوائل في البصرة كانوا علماء موسوعيين كالخليل بن أحمد الذي شارك في علوم عديدة ويونس بن حبيب ، وقد أكثر سيبويه من الرواية عنهما ، ونقل كذلك عن أبي عمرو بن العلاء إمام البصرة في وقته علماً ورواية ولكنه لم يدركه فنقل عنه بطريق غير مباشر بالراوية عن الخليل عنه ، وأخذ كذلك عن عيسى بن عمر وعبد الحميد بن عبد المجيد الملقب بالأخفش الأكبر وكنيته أبو الخطاب .

ثم ظهر التخصص على مهل وتمايزت علوم العربية بعد ذلك مع كثرة العلماء والطلاب كما هي طبيعة العلم في كل زمان ، حيث يزداد التخصص وتنشأ علوم جديدة ، ومع ذلك تبقى دائماً وشائج تربط الجديد بالقديم الذي انماز عنه ، وهذا أمر عام شائع في كل العلوم .

ومن بين مسائل النحو واللغة ونقد الشعر التي اتسعت وتنوعت ظهرت النكات البلاغية التي اتسعت كذلك ثم تميزت عن درس اللغة والنحو بمنحى خاص ، ومع ذلك ظلت كثير من مسائل البلاغة حتى اليوم تتصل بوشائج القربى إلى مباحث النحو واللغة ، وهذا ما تحاول دراستنا رصده في مجال العلاقات بين النحو والبلاغة .

والمصادر الأساسية لهذه الدراسة أربعة : أولها كتاب سيبويه عمدة النحو العربي وأساسه المكين ، والثاني دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني وهو أساس النظرية البلاغية العربية في علم المعاني ، والثالث الكشاف للزمخشري وهو التطبيق العملي لميراث سيبويه وعبد القاهر في عمل علمي ضخم ومتميز لا يزال يحظى بالمزيد من الاهتمام والدرس والمتابعة ، والرابع معجم المصطلحات البلاغية وتطورها للدكتور أحمد مطلوب وهو يمثل الصورة الأخيرة لما استقر عليه المصطلح البلاغي العربي مع متابعة لتطوره عبر تاريخ البلاغة .

أما مباحث هذه الدراسة فعلى النحو الآتي :

المبحث الأول:النشأة الأولى للبلاغة عند النحاة واللغويين المتقدمين .

المبحث الثاني : المصطلح البلاغي بين النحاة والبلاغيين .

***

المبحث الأول

النشأة الأولى للبلاغة عند النحاة المتقدمين

١- بداية الإشارات البلاغية عند النحاة واللغويين الأوائل :

إن المتتبع لمباحث البلاغة العربية يجد بعضاً منها يرجع إلى مباحث النحو العربي في نشأته المبكرة ، قبل أن يجنح إلى الجدال والتقسيم والتفريع الشكلي ، وقد لا يجد الباحث حرجاً في أن يزعم أن كثيراً من الدرس البلاغي نشأ في رحم النحو ثم انفصل عنه وانماز بسمات خاصة في درس البيان جعلت منه علماً قائماً بذاته ، ومع ذلك بقي في مباحثه ذلك الأصل النحوي شاهداً على ما نقول .

ولم يكن قصد الخليل وسيبويه الاقتصار على مسائل النحو والضبط الإعرابي كما آل إليه النحو من بعد ، بل كانت أعمالهما أقرب إلى الدرس اللغوي الذي يشمل مستويات التحليل اللغوي المتعددة من الأصوات والكلمات والجمل والدلالة .. ولهذا فإن دارس سيبويه سيجد مبادئ لدراسات في علم الدلالة والبلاغة والشعر بلغته الخاصة وضروراته.. تتعانق كلها مع الدرس النحوي التأصيلي الذي ابتدأه سيبويه.

انشغل النحاة بضبط القواعد والتصورات الكلية للغة ، ومن بين سطور الدراسات النحوية الكثيرة ظهرت رويداً رويداً لفتات جمالية أخذت تتناثر هنا وهنالك في بطون الكتب ، حتى كوّنت فيما بعد أصول علوم البلاغة العربية ، ومن النحو والبلاغة معاً ينشأ ما يمكن الاصطلاح عليه باسم " علم الجمال النحوي " أو" النحو الجمالي " أو " الإبداع النحوي ".

ومن المعلوم أن النحو كان أسبق نشأة من البلاغة ، وأن الإشارات البلاغية المبكرة كان بعضها يرد عند متقدمي النحاة تارة وعند نقاد الشعر والأدب تارة أخرى ، حتى وُضعت أسس العلوم العربية وانماز بعضها من بعض بأصول وقواعد وحدود ، ولا أدلَّ على ذلك من أن رائديْ علم البلاغة عند العرب بلا منازع هما عبد القاهر الجرجاني والزمخشري ، وقد كانا الرائدين في تأصيل اتخاذ المهاد النحوي مدخلاً للدرس البلاغي فمزجا في أعمالهما بين مباحث النحو والبلاغة في دراسة البيان العربي ، وقد رأى عبد القاهر أن " الألفاظَ مغلقةٌ على مَعانيها حتّى يكونَ الإعرابُ

هو الذي يفتحها وأنّ الأغراضَ كامنةٌ فيها حتى يكونَ هو المستخرِجَ لها وأنه المعيارُ الذي لا يُتبيَّنُ نُقصانُ كلامٍ ورُجحانهُ حتى يُعرضَ عليه ، والمقياسُ الذي لا يُعرف صحيحٌ من سقيمٍ حتّى يُرجَعَ إليه " [٢].

إن نشأة البلاغة في كنف النحو جعلتها تحتفظ بوشائج الصلة معه في مباحث عديدة حتى بعد أن أصبحت علماً مستقلاً ، ولا تزال مباحث متنوعة حول الأصوات والحروف والألفاظ والتراكيب مشتركة بينهما ، إن " بداية البلاغة والنقد على أيدي النحويين واللغويين والرواة كانت بداية سليمة لأنها اتخذت نقطة انطلاقها من أساس متين هو الصوت اللغوي أو الحرف وتدرجت منه إلى الكلمة ثم إلى نظام الجملة ، ولم تنظر إلى هذا النظام نظرة آلية مقررة ، بل نظرة ذاتية نفسية مرتبطة بالموقف والقائل والسامع .. ومن هنا كان النحاة واللغويون من واضعي أسس البلاغة العربية من حيث لا يتعمدون ذلك " [٣].

وقد ارتبط مفهوم البلاغة عند العرب قبل التأصيل المصطلحي بالقدرة على الإبانة وإبلاغ المعنى في أحسن صورة ، قال ابن رشيق :" سئل ابن المقفع : ما البلاغة ؟ فقال : اسم لمعان تجري في وجوه عدة كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل ، فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة ، قال صاحب الكتاب: فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة في الإيجاز " [٤].

وقد ذكر القرآن الكريم " القول البليغ " بوصفه ذروة البيان الوعظي للتأثير في الناس فقال في معرض الحديث عن المنافقين ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا**﴾ (النساء : ٦٣).

٢- عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز:٣٨، ط١ دار المعرفة – بيروت ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
٣ – د/محمد حسن عبد الله : اللغة الفنية : ١٤-١٥، ، ط دار المعارف ، القاهرة د.ت.
٤ – الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :٢٤٣/١ ، ط٥ دار الجيل – بيروت ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

ولا شك أن نكات البلاغة بدأت تظهر أولاً في أعمال اللغويين الأوائل كما قال الدكتور شوقي ضيف عن معلمي اللغة الأوائل من اللغويين والنحويين إنهم :" لم يكونوا يكتفون بالرواية وحدها ؛ فقد عُنوا أشدّ العناية بشرح ما يروون ودرسه وتبيُّن خصائصه التعبيرية والأسلوبية ، وحقاً كانت عنايتهم تنصب على استنباط أصول اللغة العربية من الوجهتين الاشتقاقية والنحوية ، غير أنهم مع ذلك كانوا يُعنون بتلقين الناشئة شيئاً من الخصائص البيانية ، يأتي ذلك عرضاً في ثنايا شرحهم وعرضهم للقواعد اللغوية والنحوية " [٥].

***

٢- سيبويه والإشارات البلاغية المبكرة :

حين نتصفح كتاب سيبويه نجده يهتم بالدلالة اهتماماً كبيراً فهو يذكر وجهاً إعرابياً في لفظ أو تركيب ثم يذكر وجهاً آخر مع تغير المعنى المراد من اللفظ أو التركيب ليوائم بذلك بين المقال والمقام أو سياق الكلام ، وهي القاعدة التي صارت من بعد أساسية في تعريفات البلاغة ، أعني موافقة المقال لمقتضى الحال أو المقام .

وقد تحدث سيبويه في مواضع كثيرة من كتابه عن أثر الموقف أو الحال الذي يحدث فيه الكلام على تركيب الجملة ، والتأثير على عناصرها من حيث الحذف أو الإضمار أو التعريف والتنكير .. ومن أبواب كتابه بـــاب" ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغنٍ عن لفظك بالفعل "فقوله" مستغن عن لفظك بالفعل" يفيد أن ثمة عناصر سياقية تغني السامع والمتكلم عن إظهار اللفظ الدال على الحدث ، وهذه العناصر السياقية تتمثل في حالة المشاهدة لوقوع حدث ما ، قال :" وذلك قولك : زيداً وعمراً ، ورأسَه ، وذلك أنك رأيت رجلاً يضرب أو يشتم أو يقتل ، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت : زيداً ، أي أوقع عملك بزيد " [٦].

---

٥ - د/ شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ : ٢٨ ، ط ٩ دار المعارف – القاهرة ١٩٩٥م.

٦- سيبويه : كتاب سيبويه:١/٢٥٣، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣ مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

وسياق الدعاء بما فيه من الحضور يجيز كذلك حذف الفعل ، كما في قولهم " اللهم ضبعاً وذئباً " وذلك إذا كان يدعو على غنم رجل ، وإذا سألتهم ماذا يعنون قالوا : اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعاً وذئباً ، وكلهم يفسر ما ينوي ، وإنما سهل تفسيره عندهم لأن المضمر قد استعمل في هذا الموضع عندهم بإظهارٍ " [٧] .

ويفسر السياق أيضاً حذف الفعل والاستغناء بالحال عنه في قولهم " مكةَ وربِّ الكعبة "حيث يرى القائل رجلاً في هيئة الحاج قاصداً مكة ، فيستغني بتلك الرؤية عن لفظه بالفعل ، والتقدير : يريد مكة " ومثل ذلك أن يرى الرائي رجلاً يسدد سهماً نحو القرطاس ، فيقول : القرطاسَ والله ، وإذا سمع وقع السهم في القرطاس قال : القرطاسَ والله ، أي أصاب القرطاس " [٨] .

فالسياق هنا يشير إلى الرؤية والسمع ، وهما من عناصر المقام ، ولذا يُستغنى معهما عن ذكر الفعل لعلم المخاطب بذلك ، وهذا من ميل العربية إلى الإيجاز اعتماداً على القرائن السياقية ، وقد علل سيبويه الإضمار في هذا الموقع بقوله : " وإنما أضمرت الفعل هاهنا وأنت تخاطب لأن المخاطَب المخبَر لست تجعل له فعلاً آخر يعمل في المخبر عنه ، وأنت في الأمر للغائب قد جعلت له فعلاً آخر يعمل ، كأنك قلت : قل له ليضرب زيداً " [٩] .

هذا كله يشير بجلاء إلى فكرة المقال المناسب للمقال أو السياق ، وقد صارت من صلب مباحث البلاغة العربية فيما بعد .

واهتم سيبويه كذلك بمسائل صارت من بعده من صلب مباحث البلاغة وبخاصة في علم المعاني كالتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وبلاغة الاستفهام .. وسنرى بعض ذلك في درس المصطلحات .

***

---

٧ – نفسه : ١/٢٥٥ .
٨ – نفسه : ١/٢٥٧ .
٩ – نفسه : ١/٢٥٨ .

٣- الإشارات البلاغية عند أبي عبيدة :

ذكر أبو عبيدة في مجاز القرآن نكاتاً صارت من بعد ضمن مباحث البلاغة العربية ومعلوم أنه لم يقصد بالمجاز المعنى الاصطلاحي البلاغي بل المجاز عنده بمعنى " معنى الكلام ".

وفي الصفحات الأولى من مجاز القرآن تلقانا إشارات إلى الحذف والإضمار ووجوه المخاطبات ، منها قوله :" ومن المحتمل من مجاز ما اختُصر وفيه مضمر قال ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ ﴾(ص:٦) فهذا مختصر فيه ضمير مجازه " وانْطَلَقَ المَلأُ منهم " ثم اختصر إلى فعلهم وأضمر فيه : وتواصوا أن امشوا أو تنادوا أن امشوا أو نحو ذلك ... ومن مجاز ما حُذف وفيه مضمَر قال ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾(يوسف:٨٢) فهذا محذوف فيه ضمير مجازه : وسل أهل القرية ، ومَن في العير ، ومن مجاز ما كُفّ عن خبره استغناءً عنه وفيه ضميرٌ قال ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر : ٧٣) ثم كُفّ عن خبره ، ومن مجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد الذي له جماع منه ووقع معنى هذا الواحد على الجميع قال ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾(غافر:٦٧) في موضع " أطفالاً " .. ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الجميع على لفظ الواحد ، قال ﴿وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (التحريم : ٤) في موضع : ظُهَراءُ "[١٠].

هذه الإشارات المبكرة إلى الحذف ووجوه المخاطبات وغيرها صارت من بعد ضمن مباحث البلاغة العربية المتنوعة .

***

٤- النظر إلى التركيب اللغوي بين النحاة والبلاغيين :

إن النحاة حين نظروا إلى الحذف في التراكيب كان همهم الأول البحث في مكونات الجملة واكتمال أركانها ، ولا ريب أن ذلك هو مهاد كل درس لغوي يأتي بعد ذلك ،

---

١٠ - أبوعبيدة معمر بن المثنى : مجاز القرآن : ١/٨-٩ ، تحقيق : فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي القاهرة د.ت.

والبلاغيون حين درسوا الحذف – على سبيل المثال – كانوا يبحثون عن دلالات ذلك الحذف وجمالياته التي ربما تجعل الحذف أفصح من الذكر كما قال عبد القاهر ، ومن ثم كان بحث مقام الحذف وتأثيره على بنية المعنى همّ البلاغيين ، في حين كان اكتمال أركان الجملة أو نقصانها هو الشاغل الأول للنحاة ، ولكل منهما مجاله في درس اللغة والبيان.

إن عبد القاهر والزمخشري كانا في الأصل نحويين دخلا عالم البلاغة من الباب الواسع للنحو ، أعني من تجاوز النظر المجرد والحكم المعياري المرتكز على الصواب والخطأ إلى النظر الجمالي ، وقد صار ذلك الناتجُ الجمالي من البنية البحثية المازجة بين معطيات النحو والبلاغة ذروةَ ما عرفت العربية في هذا المجال ، في حين مال أصحاب التمايز والفصل بين النحو والبلاغة إلى عوالم أخرى من الجدل والتقعيد الجاف البعيد عن روح البيان الذي حاول الجاحظ في البيان والتبيين تأسيسه على تكثيف النصوص التي رأى أنها تغني عن وضع القواعد في بناء السليقة اللغوية وولوج عالم الإبداع البياني .. في حين رأى متأخرو النحاة والبلاغيين الاحتماء بالقواعد والأمثلة المصطنعة الجافة ، وحين تبتعد البلاغة والنحو عن النصوص الإبداعية يدخلان إلى متاهة غير مأمونة العواقب .

إن النحاة ينظرون إلى أصل الدلالة المرادة من الجملة ، ويزيد البلاغيون على ذلك بعض الدلالات الإضافية المستفادة من ورود التركيب على صورة معينة تقوي المعنى وتجلوه بوجوه متنوعة من التحسين كما يصف عبد القاهر :" واعلمْ أنْ ليسَ النظْم إلا أن تضعَ كلامَك الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النّحو وتعملَ على قوانينه وأُصوله وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجَتْ فلا تزيغُ عنها وتحفَظَ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك فلا تُخــلّ بــشيءٍ منها ، وذلك أنّا لا نعلمُ شيئاً يبتغيهِ النّاظمُ بنظمِه غيرَ أنْ ينظرَ في وجوهِ كــلّ بــابٍ وفُروقه ، فينظرَ في الخبرِ إلى الوجوهِ التي تَراها في قولك " زيدٌ منطلقٌ " و " زيــدٌ ينطلقُ " وينطلقُ زيدٌ " و " منطلق زيدٌ " و " زيدٌ المنطلقُ " و " المنطلقُ زيدٌ " و" زيدُ هوَ المنطلقُ " و " زيدٌ هو منطلقٌ .." [11].

---

[11] – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ٧٠.

إن الدلالة الأصلية في هذه الجمل واحدة هي انطلاق زيد ، أي وقوع الانطلاق منه ولكن الدلالة الإضافية تستفاد من وجوه الخبر الاسمية أو الفعلية ، وهكذا القول في التقديم والتأخير على سبيل المثال ، فما يهمُّ النحويَّ هو اكتمال الأركان الأساسية للتركيب ، ولكنه قد يشترك مع البلاغي في بحث الدلالة الإضافية من ذلك أو يتركها له ، قال عبد القاهر : " ويتصرفُ في التّعريفِ والتّنكيرِ والتّقديمِ والتّأخيرِ في الكلام كُلّه وفي الحذفِ والتّكرارِ والإضمارِ والإظهار فيضعُ كلاًّ من ذلك مكانَهُ ويستعملهُ على الصّحّة وعلى ما ينبغي له ، هذا هو السّبيل ، فلستَ بواجدٍ شيئاً يرجعُ صوابُه إنْ كان صواباً وخطؤه إن كانَ خطأً إلى النّظم ويدخلُ تحتَ هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحوِ قد أُصيبَ به موضعُهُ ووُضِع في حقه أو عُوملَ بخلافِ هذه المعاملة فأزيلَ عن موضعهِ واستُعمِل في غيرِ ما ينبغي " [١٢].

هذه الإشارات الدالة عند عبد القاهر أصّلها الشاطبي بعد ذلك في كلام نفيس له في الموافقات ، قال :" للغة العربية – من حيث هي ألفاظ دالة على معان – نظران أحدهما : من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مطلقة ، دالة على معان مطلقة ، وهي الدلالة الأصلية .. وهذه الجهة هي التي تشترك فيها جميع الألسنة ، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين ، ولا تختصّ بأمة دون أخرى ، فإذا حصل في الوجود فعل لزيد مثلاً ، كالقيام ، ثم أراد كل صاحب لسان الإخبار عن زيد بالقيام تأتّى له ما أراد من غير كلفة .. الثاني : من جهة كونها – أي العربية – ألفاظاً وعبارات مقيدة دالة على معانٍ خادمة وهي الدلالة التابعة ، وهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار ، فإن كلّ خبر يقتضي في هذه الجهة أموراً خادمة لذلك الإخبار بحسب المخبِر والمخبَر عنه والمخبرَ به ونفس الإخبار في الحال والمساق ونوع الأسلوب من حيث الوضوح والإخفاء والإيجاز والإطناب وغير ذلك " [١٣] .

هذا الكلام الموجز الدالّ يعد أساساً لمعرفة الفروق بين الدلالة الأصلية العامة للتركيب والدلالات الإضافية الناتجة عن وجوه التحسين والتزيين التي يتعمدها المبدع للتميز وتحقيق إبداعه الخاص .

---

١٢ – نفسه : ٧٠ .

١٣ – أبو إسحاق الشاطبي:الموافقات في أصول الشريعة:٢/٦٦-٦٧، دار المعرفة-لبنان د.ت.

ثم يشرح الشاطبي كيف يمكن الاستفادة من السياق في دراسة القرآن ، فيقول : " فمثل هذه التصرفات التي يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست هي المقصود الأصلي ، ولكنها من مكملاته ومتمماته ، وبطول الباع في هذا النوع يحسن مساق الكلام إذا لم يكن فيه منكر ، وبهذا النوع الثاني اختلفت العبارات وكثير من أقاصيص القرآن ؛ لأنه يأتي مساق القصة في بعض السور على وجه ، وفي بعضها على وجه آخر ، وفي ثالثة على وجه ثالث ، وهكذا ما تقرر فيه من الإخبارات لا بحسب النوع الأول ، إلا إذا سكت عن بعض التفاصيل في بعض ونص عليه في بعض ، وذلك أيضاً لوجه اقتضاه الحال والوقت " وما كان ربك نسياً " [١٤] .

ولقد جعل عبد القاهر مدار البلاغة على مراعاة ما يقتضيه النحو من سلامة التركيب أولاً ثم من دقته في موافقة الحال والمقام ثانياً ، ويلخص الدكتور مصطفى ناصف رأي عبد القاهر في " الدلائل" في هذا الجانب فيقول :" إن أهمية النحو الكبرى لا تتضح أمام كثير من الباحثين الذين ينظرون إلى النحو ومشكلاته نظرة قد يشوبها الاستخفاف ، ومن الباحثين من يرى في الاحتمالات النحوية عبئاً يجب التخفف منه ، ولكن قليلاً من الباحثين هم الذين يلتفتون بعناية إلى تأثير الاحتمالات اللغوية في بنية المعنى ، والمتفلسفون من النحاة يتحدثون عن التوتر الذي يمكن أن ينشأ بين صناعة الإعراب من ناحية ، وشرح المعنى من ناحية ثانية ، وهذا الحديث يعني أن صناعة الإعراب ذاتها محتاجة إلى تعديل غير قليل " [١٥].

وإذا كان الزمخشري قد ذكر في مقدمة تفسيره أنه أسسه على علمي المعاني والبيان فإنه يعني بالمعاني والبيان هنا المفهوم الواسع لهما وتداخلهما مع معاني النحو وأحكامه ، لا تلك القواعد الجافة المحكمة التي آلت إليها علوم البلاغة في أعمال المتأخرين حتى صارت إلى جَدْب المنطق والفلسفة .. لقد رأى الزمخشري أن من أهم الأدوات لمفسر القرآن التميز في علمي المعاني والبيان ، فهو :" رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهل في ارتيادهما آونة

---

١٤ – نفسه :٦٧/٢ .

١٥ – د/ مصطفى ناصف : النحو والشعر – قراءة في دلائل الإعجاز ، مجلة فصول ص : ٣٥ ، عدد : ٣ ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م .

وتعب في التنقير عنها أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همةٌ في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ ، جامعاً بين أمرين : تحقيقٍ وحفظٍ ، كثيرَ المطالعات طويلَ المراجعات قد رجع زماناً ورجُع إليه ، ورَدّ ورُدّ عليه ، فارساً في علم الإعراب مقدماً في حملة الكتاب " [١٦].

وإذا كان عبد القاهر قد وضع أصول البلاغية العربية في كتابيه : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة فإنه قد خصّ الدلائل بالحديث عن علم المعاني الذي بناه على النحو من منظور خاص كما سنفصل في هذه الدراسة .

وقد التقط الزمخشري ما قدمه عبد القاهر واستوعبه ثم أضاف إليه فأبدع في الكشاف في استخراج لفتات النص الجمالية ، وعمله في الكشاف يمتاز – كما ذكرنا – بأنه اتكأ على المهاد النحوي في تحليله للتركيب اللغوي وانطلق منه لبحث السياق ليظهر القيم الدلالية والجمالية ، والبلاغة في الأساس عمل في النصوص لاستجلاء أسرارها بأدوات اللغة والنحو من منظور خاص .

إن الميزة الكبرى لعمل الزمخشري أنه تعامل مع النص القرآني ولم يجنح إلى المسائل النظرية في علوم البلاغة ، كما يقول الدكتور محمد أبو موسى :" وعلينا أن نذكر أن التطبيقات في الدرس البلاغي ليست أمراً هيناً ؛ لأنها هي حياته ونماؤه وتتركز فيها قدرة البليغ ومهارته ، فقواعد البلاغة وأصولها يمكن أن تجمع في صفحات ، والمهم هو التطبيق والنظر المتثبت في النص المدروس وتحليله وتركيبه وإبراز محاسن صياغته .. " [١٧].

إن كثيراً من المسائل البلاغية – وبخاصة في علم المعاني – كانت في الأصل ضمن المسائل النحوية فأنتجت دلالات تلقفها البلاغيون وصنفوها وجمعوا الأشباه والنظائر ، فأنتج ذلك مباحث البلاغة العربية من رحم اللغة والنحو ولكنها اتخذت سبيلاً خاصاً يختلف عن ميدان الدرس النحوي التقليدي ، إذْ كانت البلاغة أكثر ميلاً

---

١٦ – الزمخشري:الكشاف :١/ن من المقدمة، ط٣ دار الريان للتراث ، القاهرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٧– د/محمد أبو موسى: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٣٧، ط٢ مكتبة وهبة ، القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

إلى البحث عن جماليات الأسلوب أكثر من النحو ، لكنْ باستعمال بعض معطيات النحو نفسه ، ومن ثم جاء عمل عبد القاهر النظري المشفوع ببعض الشواهد في الدلائل وأسرار البلاغة ، وتطبيق الزمخشري العملي في الكشاف ذروةَ ما في البلاغة العربية من بحث جمالي .

***

٥- تطور الدرس البلاغي وانتحاؤه طريقاً خاصاً :

إن نظر النحوي ينصب على دراسة التركيب اللغوي من جهة المعنى والإعراب واكتمال أركان الجملة ، أي من جهة أصل المعنى المراد من التركيب ، ونظر البلاغي يتجاوز ذلك إلى دراسة مقام الكلام والدلالات الإضافية الناتجة من تركيب الكلام على نحو ما ، بحيث لو حدث تغير في التركيب استتبع تغيراً في الدلالة الإضافية المستفادة من التركيب ، هذا مع اعتناء خاص بالسياق ومقام الكلام ومطابقة مقتضى الحال ، وهو ما جعل البلاغة تسلك سبيلاً خاصاً زايلت به النحو من بعض الوجوه " وطبيعي أن البلاغيين لم يتوقفوا عند ما بدأ به علماء اللغة ، لقد شاركوهم البدء من الجزء والعناية بالكلمة والجملة ، ولكنهم تجاوزوهم إلى إبراز أهمية الذوق وصلته بالحواس والشعور " [١٨] .

وقد أحس دارسو اللغة والبلاغة معاً منذ نشأتهما بتداخل الدراستين : اللغوية والبلاغية ، وصارت علوم الأصوات والصرف والنحو والدلالة مباحث أساسية – من منظور خاص – في البلاغة العربية .

والخطيب القزويني يجعل من بعض مباحث النحو مداراً للبلاغة ، يقول : " وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ، ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ومقام الذكر يباين مقام الحذف.." [١٩]

---

[١٨] – د/ محمد حسن عبد الله : اللغة الفنية : ١٧.

[١٩] – الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة :١١، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.

فالبلاغة تستفيد من مباحث النحو من منظور خاص هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو بمعنى آخر تهتم البلاغة بالجانب التطبيقي والسياقي من جوانب اللغة .

وأشار محمد بن علي الجرجاني صاحب" الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة " في بداية حديثه عن البلاغة إلى حصر صور التراكيب العربية وإلى موضوعات العلوم العربية التي هي مفردات موضوعها علم الصرف ، وتراكيب يتوجب معرفة صحتها ... وهو موضوع علم النحو ، وكيفية تطبيق أحوال التراكيب العارضة على أحوال المعاني وهو موضوع علم المعاني ، وباعتبار كون دلالتها على المعنى المراد وهو موضوع علم البيان ، وباعتبار نسبة بعضها إلى بعض لفظاً أو معنى بالتحسين والتقبيح وهو موضوع علم البديع ..." [٢٠].

وقد أحس المحدثون من دارسي البلاغة بما أحس به الأقدمون من تداخل النحو واللغة مع البلاغة ، ونذكر على سبيل المثال منهم الدكتور مصطفى الصاوي الجويني ، فبعد أن ذكر أن نشأة البلاغة كانت في أحضان البحث اللغوي ابتداء من أعمال الخليل وسيبويه، ثم نضوجها في حجر الكلاميين والأصوليين .. قال :" وإذن فالبلاغة نلتمسُها في مجالات اللغة والنحو والصرف والتفسير والكلام والأدب " [٢١] .

إن نظرة سريعة إلى مباحث علم المعاني ترينا كيف أن مباحثه أساسها النحو ، فهو يبحث في أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند ، وأحوال متعلقات الفعل ، والقصر والإنشاء والفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة..

أما علم البيان فمباحثه : التشبيه والحقيقة والمجاز بأنواعه والاستعارة والكناية... وهذه المباحث أكثر التصاقاً بعلوم الدلالة والمعجم ، ومباحث البديع ذات علاقة بتحسين الكلام وتزيينه ، أي أنها ترتبط عادة بالكلام ذي البلاغة العالية الذي يعدّ إعداداً ، ويُختار على بصيرة وروية اختياراً [٢٢].

---

٢٠ – محمد بن علي الجرجاني : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة:٢-٣،دار نهضة مصر د.ت.

٢١ – د/مصطفى الصاوي الجويني : بلاغة العرب في بيئات الإسلام : ٥-٦، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٥م.

٢٢ – انظر لصاحب هذه الدراسة كتاب : فواصل الآيات القرآنية – دراسة بلاغية دلالية : التمهيد (معالم الدراسة البلاغية) ط٢ مكتبة الآداب – القاهرة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

ويتلمّس ابن الأثير مواضع الالتقاء والافتراق بين النحوي والبلاغي فيدرك بعضاً ويخطئ في بعض إذْ يتحامل على النحاة زاعماً أنهم قد لا يتوصلون إلى ما في الكلام من الفصاحة والبيان ، وهو زعم لا يتابع عليه ، والأصل أن النحوي ينظر في صحة التركيب اللغوي بما فيه صحة الإسناد وعلاقاته .. وبعض النحاة – وبخاصة المتقدمون منهم – قد يتجاوز ذلك إلى دراسة سياق الكلام ومطابقاته كما فعل سيبويه قال ابن الأثير :" وموضوع النحو هو الألفاظ والمعاني ، والنحوي يسأل عن أحوالهما في الدلالة من جهة الأوضاع اللغوية .. وموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية ، وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعنى من جهة الوضع اللغوي وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب ، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يعلم ما فيه من الفصاحة والبـــلاغة ؟ " [٢٣] .

والحقيقة أن ابن الأثير يتحدث عن فئة من النحاة انشغلت بالعوامل والمعيارية النحوية وأحكام الإعراب دون نظر في السياق وجمال الأداء ومتطلبات البيان ، ولذا يقول الدكتور رجاء عيد معلقاً على نص ابن الأثير: " ما الذي دفع إلى الشقاق بين النحوي والبلاغي ؟ إن الصلة في أصلها حميمة ، وكلاهما – النحوي والبلاغي – يتعاملان مع الأداء اللغوي ، لقد حدث الشقاق – ويتحمل تبعته النحويون المتأخرون– حينما غفل النحويون عن دراسة الظواهر النحوية متصلة بالتركيب اللغوي وقصروا مهمتهم على البحث في ضبط أواخر الكلمات .." [٢٤].

وفي مقدمة تحقيق كتاب " الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة " يـشير المحقـق الدكتور عبد القادر حسين إلى علاقة الدرس البلاغي بالنحو واستعانة البلاغيين بأسس النحو في أعمالهم ، قال :" والجرجاني عالم من علماء النحو يستعين به على البلاغة

---

٢٣ – ابن الأثير : المثل السائر : ٢٦/١ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط المكتبة العصرية – لبنان ١٤١٦هـ–١٩٩٥م.

٢٤ – د/رجاء عيد : فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور:١٧، منشأة المعارف – الإسكندرية د.ت .

في تقرير قواعدها .. ولذلك نراه يعرض لأحكام أئمة النحو التي لها علاقة بالأسرار البلاغية فيناقشهم مناقشة العارف البصير النافذ إلى الأغوار " [٢٥].

ويبدو أن البلاغيين كانوا أكثر اهتماماً من النحويين ببيان كيفية أداء الصورة اللغوية للمعنى المراد ، ويمكن القول بأن النحويين قد تركوا للبلاغيين مجالاً خصباً كانوا هم أهله وأجدر به ، وذلكم هو مجال علم المعاني ، وهو مؤسس على علم النحو ، إلا أنه خطا الخطوة التي أهملها أكثر النحاة للوصول إلى دراسة شاملة لجوانب العملية الكلامية وهي خطوة دراسة المعنى على مستوى التركيب .

وقد وقع بعض البلاغيين المتأخرين في أسر التصور التقليدي لبناء الجملة عند النحاة ، حيث اعتمدوا أساساً على الميراث النحوي الغني ، ومن ذلك بحثهم لبناء الجملة ، وما فيها من تقديم أو تأخير أو مظاهر أخرى ، وقد انتقد بعض الدارسين هذا الاتجاه ، كما يقول الدكتور عبد القادر القط :" والحق أن الحرص على إفادة الكلام ومعناه قد جعل البلاغة العربية برغم التفاتها إلى كثير من مقومات البيان ، قائمة في جملتها على افتراض أن هناك " أصلاً " نحوياً ثابتاً لبناء الجملة العربية ، إذا تجاوز المتكلم أو الكاتب نسقه كان من وراء ذلك مراد خاص ولا يكاد يلتفت البلاغيون إلى أن العبارة يمكن أن يكون لها أكثر من نظام لا يمثل عدولاً عن النظام الأصلي المفترض بل ينبع من طبيعة الفكرة والشعور وإحساس المتكلم والشاعر والكاتب باللغة وألفاظها وإيقاعا إحساساً يختلف من شخص إلى آخر ، فليس شرطاً – حين يتجاوز الأمر تعليم النحو– أن تقوم الجملة في الأصل على فعل ثم فاعل ثم مفعول به ، فإذا تقدم أحد هذه العناصر أو تأخر كان وراء ذلك بالضرورة فائدة بيانية " [٢٦].

---

[٢٥] – محمد بن علي الجرجاني : الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة : ص (ح) من المقدمة ، تحقيق : د/ عبد القادر حسين ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٨٢م.

[٢٦] – د/ عبد القادر القط : النقد العربي القديم والمنهجية ، مقال بمجلة فصول :٢٣ –٢٤ ، مج :١، ع :٣، ١٩٨١ م .

وحين تصفحت مُعجم المصطلحات البلاغية وتطورها [٢٧] - على سبيل المثال - وجدت كثيراً من المصطلحات البلاغية تضرب بجذورها في النحو العربي ، لكنها انمازت عنه إلى وجهة جديدة من الدرس تجاوزت النظر الظاهر إلى التركيب ومكوناته إلى ما هو وراء ذلك .

ومن المصطلحات البلاغية التي تضرب بجذورها في النحو العربي ذكر صاحب المعجم في الجزأين الأول والثاني بعضاً منها مثل : أداة التشبيه والاستئناف والاستثناء والاستدراك والاستفهام والإسناد الخبري والاشتغال والإضمار والالتفات والأمر وإيجاز الحذف والتأكيد وتتابع الإضافات والتجريد والترجي والتعبير عن المستقبل بالماضي والتعجب والتعريف والتنكير والتقديم والتأخير والتكرير والتمني وتوكيد الضمير والحذف وحروف المعاني والحصر ..

كل هذه المصطلحات وغيرها نبتت أولاً في أعمال النحاة الأوائل ثم اتخذت اتجاهاً خاصاً على أيدي البلاغيين المبكرين من أمثال عبد القاهر حتى استوت علماً خاصاً قائماً بذاته ، لكن بقيت في أكثر مباحثه مظاهر متنوعة تدل على تلك النشأة الأولى للبلاغة في رحم النحو العربي .

ثمة نظران إذن للتركيب اللغوي أحدهما للنحوي والآخر للبلاغي ... وقد توجد ألوان أخرى من تناول التركيب اللغوي أو غيره من قِبل دارسي النصوص لكنا نبحث هنا عن العلاقة بين النحو والبلاغة لننظر كيف التقيا معاً أول مرة فنبتت البلاغة في رحم النحو ثم كيف تمايزا حتى صارت للبلاغة علومها ورسومها ، وكيف ينظر كل من النحوي والبلاغي إلى المسألة المشتركة بينهما اصطلاحاً على الأقل ، بمعنى : كيف يعالج النحوي مصطلحاً كالحذف أو التعريف والتنكير وكيف يعالجه البلاغي على سبيل المثال .

وأنا أشير هنا إلى أن أكثر المباحث والمصطلحات البلاغية التي نرى لها أصولاً نحوية هي أقرب إلى مباحث علم المعاني من بين أفرع البلاغة الثلاثة ، ومع ذلك فإن مباحث علمي البيان والبديع ليست بمنأى عن أصول النحو ، فأصل الاستعارة على

---

[٢٧] - للدكتور أحمد مطلوب ، ط المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

سبيل المثال قائم على تغير بدرجة ما في علاقات الإسناد في التركيب اللغوي ، فالمعهود في الخطاب في مثل قوله تعالى﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ (الكهف : ٧٧) إسناد فعل الإرادة إلى العاقل أو المميز الذي يتصور وقوع الإرادة منه ، ولكن تغير علاقات الإسناد بإسناد فعل الإرادة إلى الجماد حيث نشأت الاستعارة يحدث هزة في المتلقي عند تدبره للمعنى ، قال عبد الرحمن الميداني :" في هذا نقل صفة الإرادة التي هي للحيّ المريد وإضفاؤها على الجدار الذي لا حياة له ولا إرادة لأنَّ صورة الجدار هذا تُحْدِثُ في تخيّل الناظر إليه أنّه كعجوز من النَّاس هَرِم ، وهو يريد أن يستريح من قيامه ويسقط إلى الأرض انقضاضاً كانقضاض الطائر راكعاً أو ساجداً أو مستلقياً ، فأعطاه صفة الإرادة وصفة انقضاض الطائر " [٢٨].

وفي مباحث علم البديع سنجد في بنية التركيب اللغوي أثر النحو الذي يجعل كلمة التسجيع أو الفاصلة القرآنية في نهاية الجملة أو الآية أو في القافية .. لإحداث الأثر الإيقاعي والدلالي ، فالتركيب ظاهره وباطنه محكوم بقواعد النحو في النثر أو الشعر حيث إن " الصورة الصوتية المنطوقة تحكمها في العمق أبنية أخرى صرفية ونحوية ووزنية معينة في الشعر " [٢٩].

والتركيب الظاهر الذي يحدث فيه الجناس بأنواعه أو التكرار أو غير ذلك من صور البيان محكوم كذلك بالخبرة النحوية والإبداعية التي تحقق ذلك وفق أصول تركيب الألفاظ العربية التي يأتي في مقدمتها النحو .

من هنا تأتي هذه الدراسة التي نختار لها بعض المصطلحات البلاغية من المعجم المشار إليه ، لندرسها وفق هذا المنظور الذي قدمناه ، وسنذكر المصطلح وتعريفه موجزاً ثم ننظر في أصوله النحوية وتطبيقاته عند البلاغيين.

* * *

---

[٢٨] – عبد الرحمن الميداني : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها١/ ٧٣، نسخة إلكترونية ضمن برنامج المكتبة الشاملة .

[٢٩]– د/ محمد حماسة عبد اللطيف : الجملة في الشعر العربي : ١٢١ ، ط١ مكتبة الخانجي ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م .

المبحث الثاني

المصطلح البلاغي بين النحاة والبلاغيين

المصطلح العلمي هو قمة الإيجاز والاختصار لفكرة ما في نطاق علم من العلوم لهذا اهتم به العلماء قديماً وحديثاً لأنه يمثل روح العلم وفلسفته الموجزة الدالة ، والمصطلح البلاغي بعد كل ذلك التراث الممتد له لا يزال في كثير منه يضرب بأصول ووشائج تربطه بالمصطلح النحوي من قريب أو بعيد ، وفي هذا المبحث سنعتمد على أهم معجم حديث لمصطلحات البلاغة العربية لننظر في بعض مصطلحاته وفي علاقتها بالمصطلح النحوي .

والغرض الأساس من هذا المبحث أن نعرف كيف نظر النحاة إلى المضمون المعرفي للمصطلح وكيف تحول ذلك النظر عند البلاغيين إلى وجهة خاصة تأخذ أصولها من النحو ثم تنطلق إلى آفاق جديدة من الفهم للمصطلح والتطبيق على النصوص وبخاصة عند الزمخشري في الكشاف بوصفه أهم عمل تطبيقي لنظرية البلاغة الجرجانية إذا صح أن نسميها بذلك .

وقد اخترت لذلك عشرة من مصطلحات " **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها** " وهي مرتبة على حروف المعجم على النحو الآتي :

١- الاستثناء

٢- الاستفهام

٣- الإسناد

٤- الاشتغال

٥- الالتفات

٦- الأمر

٧- تتابع الإضافات

٨- التعريف والتنكير

٩- التوكيد

١٠- حروف المعاني

وسوف نشير إلى مكان المصطلح في معجم المصطلحات البلاغية ونورد تعريفه موجزاً عند النحاة والبلاغيين وكيف تناوله كل منهما ، ثم نتبع ذلك بالتطبيقات العملية عليه من الكشاف أو غيره ما وجدنا لذلك نصوصاً، مع الإيجاز والاختصار.

١- الاستثناء [٣٠]:

درس النحاة الاستثناء من جميع وجوهه سواء كان بالحروف مثل إلا وعدا وخلا وحاشا الحرفية أو بالأسماء مثل غير وسوى أو بالأفعال مثل ما عدا وما خلا وعدا وخلا وحاشا في أحد الوجهين ، وذكروا أنواع الاستثناء وأحكام كل نوع .. وموضوع الاستثناء من الموضوعات المتشعبة في العربية وله صور كثيرة وحوله جدال وخلاف ؛ مما استدعى بعض النحاة أن يفرده بتأليف خاص ، نعني بذلك شهاب الدين القرافي في مؤلفه " الاستغناء في الاستثناء " [٣١] وهو دراسة مستفيضة متعمقة لهذا الأسلوب في القرآن الكريم.

وقد ذكر سيبويه الاستثناء الناقص المنفي أو المفرغ ، وهو الذي دخل علوم البلاغة من بعد من باب التوكيد بالقصر ، قال :" اعلم أن " إلا " يكون الاسم بعدها على وجهين ، فأحد الوجهين أن لا تغير الاسم عن الحال التي كان عليها قبل أن تلحق ، كما أن " لا " حين قلت " لا مرحباً ولا سلامٌ ، لم تغير الاسم عن حاله قبل أن تلحق فكذلك إلا ولكنها تجئ لمعنى كما تجئ لا لمعنى ، والوجه الآخر أن يكون الاسم بعدها خارجاً مما دخل فيه ما قبله عاملاً فيه ما قبله من الكلام كما تعمل عشرون فيما بعدها إذا قلت : عشرون درهماً ، فأما الوجه الذي يكون فيه الاسم بمنزلته قبل أن تلحق إلا فهو أن تدخل الاسم في شيء تنفى عنه ما سواه وذلك قولك : ما أتاني إلا زيد وما لقيت إلا زيداً وما مررت إلا بزيد ، تجري الاسم مجراه إذا قلت : ما أتاني زيد وما لقيت زيداً وما مررت بزيد ، ولكنك أدخلت إلا لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ولتنفى ما سواها فصارت هذه الأسماء مستثناة " [٣٢] .

---

٣٠ - معجم المصطلحات البلاغية : ١/١٠٥.

٣١ - شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن القرافي : الاستغناء في الاستثناء ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط١ دار الكتب العلمية - لبنان ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٢- كتاب سيبويه : ٢/٣١٠.

وقد أدخل البلاغيون مسائل من الاستثناء في مباحث البلاغة ، وعقد له أبو هلال العسكري الفصل السابع والعشرين من الصناعتين ، قال :" والاستثناء على ضربين فالضرب الأول هو أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثنى بغيره فتكون الزيادة التي قصدتها والتوكيد الذي توخيته في استثنائك ، كما أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرني أبو عمر الزاهد قال : قال أبو العباس : قال ابن سلام لجندل بن جابر الفزاري :

فتىً كملتْ أخلاقُه غيرَ أنّه جوادٌ فما يبقي من المال باقيا
فتى كان فيه ما يسرُّ صديقَه على أنّ فيه ما يسوءُ الأعاديا

فقال : هذا استثناء ، فتبين هذا الاستثناء لهم ، كما قال النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائبِ

والضرب الآخر استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان فيه ، مثل قول طرفة:

فسقَى ديارَكِ غيرَ مفسدِها صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي [٣٣]

ويقول صاحب معجم المصطلحات البلاغية :" ويتضح أن البلاغيين نظروا إلى الاستثناء من زاويتين : الأولى : أنه تأكيد المدح بما يشبه الذم كما فعل ابن المعتز والعسكري ، والثانية أنه الاستثناء النحوي الذي يشتمل على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي ، ويمثل هذا الاتجاه المصري وابن الأثير والسيوطي والمدني"[٣٤].

وقد أخذ درسُ البلاغيين للاستثناء منحى خاصاً في مباحث القصر والحصر بإلا للتوكيد ، وتعاملوا مع النوع الثالث من أنواع الاستثناء بإلا وهو الناقص المنفي أو المفرغ وهو في الحقيقة له صورة الاستثناء لكنه ليس منه بل هو لون من ألوان التوكيد ، والدليل على ذلك أن حذف النفي وإلا لا يؤثر على أصل المعنى كما في النوعين الآخرين من الاستثناء بإلا ، ففي قولنا " ما حضر إلا محمد " لا يتأثر أصل المعنى وهو " حضور محمد " بحذف ما وإلا ، لكنه يتقوى ويتأكد بوجودهما .

---

٣٣ – أبو هلال العسكري : كتاب الصناعتين:٤٥٩-٤٦٠، ط٢ دار الكتب العلمية – لبنان ١٤٠٩هـ –١٩٨٩م.

٣٤ – معجم المصطلحات البلاغية : ١/١٠٧-١٠٨.

ومما يؤيد قولنا في درس البلاغيين للاستثناء أن الخطيب القزويني ذكره في الإيضاح ضمن مبحث " القول في القصر " حيث ذكره ضمن أنواع القصر الشائعة في العربية ، قال :" القصر حقيقي وغير حقيقي ، وكل واحد منهما ضربان: قصر الموصوف على الصفة ، وقصر الصفة على الموصوف " [٣٥].

ثم أسهب القزويني في ذكر أنواع القصر فذكر منها " النفي والاستثناء كقولك في قصر الموصوف على الصفة إفراداً : ما زيد إلا شاعرٌ ، وقلباً : ما زيد إلا قائم وتعييناً كقوله تعالى ﴿ **وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا تَكْذِبُونَ** ﴾ (يس:١٥)[٣٦].

وما نريد قوله ها هنا أن الدرس البلاغي في مصطلح الاستثناء انطلق من المبادئ النحوية التي أحصاها النحاة وقرروها في هذا المبحث ، لكنه أخذ منحى خاصاً اختلف عن درس النحاة الذين اهتموا ببحث التركيب اللغوي وكماله وطرق استعماله والضبط الإعرابي والمعيارية ، في حين كان النحاة أقرب إلى دراسة السياق ومقامات الكلام .

وقد ذكر الزمخشري مباحث عديدة في الكشاف عن الاستثناء ، واستخلاصه للمعنى الذي يرتضيه يرتبط بسياق الكلام ، وهذه من مميزات العمل النصي ، أي الذي يعمل في النصوص ويستلهم روح النص ليخرج بالفوائد الكاشفة لأسراره، ومما ذكره في هذا المجال :

١- في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ** ﴾(النساء : ١٩) قال الزمخشري :" فإن قلت : إلا أن يأتين ، ما هذا الاستثناء ؟ قلت : هو استثناء من أعمّ عام الظرف أو المفعول له كأنه قيل : ولا تعضلوهن في جميع الأوقات إلا وقتَ أن يأتين بفاحشة أو : ولا تعضلوهن لعلة من العلل إلا لأن يأتين بفاحشة " [٣٧].

---

٣٥ – الإيضاح : ١٢٢ .
٣٦ – نفسه : ١٢٤.
٣٧ – الكشاف : ٤٩٣/١.

قلت : إذا نظرنا في هذا الاستثناء وفق قواعد النحاة التي قرروها فقد لا نلحظ وجود مستثنى منه ، ولذلك يترفّق الزمخشري في استخلاص المعنى ليصل إلى بيان حقيقة الاستثناء بما يعمّق فهم النص القرآني .

٢- في قوله تعالى ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالاً** ﴾ (التوبة : ٤٧) قال : " إِلاَّ خَبَالاً " ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون ؛ لأنَّ الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، كقولك : ما زادوكم خيراً إلاّ خبالا ، والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور ، وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعمّ العام الذي هو الشيء ، فكان استثناء متصلاً ؛ لأنّ الخبال بعض أعمّ العام كأن قيل : ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً " [٣٨].

إن عامة النحاة قد يجعلون هذا الأسلوب من النوع الثالث من أنواع الاستثناء بإلا (المفرّغ أو الناقص المنفي) ولكن ذوق البلاغي المفسّر يتجاوز ذلك إلى تقدير مستثنى منه يناسب السياق العام ليوضح بذلك معالم الصورة الجمالية للأسلوب .

***

٢- الاستفهام [٣٩]:

حين درس النحاة الاستفهام كان همهم الأول جمع شتات مباحثه تحت عنوان واحد فجمعوا الأسماء والحروف المستعملة في الاستفهام وذكروا صور استعمالها ومواضعها وكيفية إعرابها في كلام العرب .. هذا هو الأصل الذي بنيت عليه القواعد ، لكنّ تصرفَ أسلوب الاستفهام واتساع مقاماته في العربية أكبر من ذلك الحصر الذي يهدف إلى وضع الأسس والتصورات العامة ، والغالب - على سبيل المثال - في الاستفهام في القرآن أن يخرج عن حقيقة الاستفهام إلى مقامات أخرى متنوعة ، وهو ما تلقفته البلاغة لتؤسس درسها الخاص للاستفهام ضمن عنوان أكبر يجمع أسلوب الخبر والإنشاء في العربية .

---

٣٨ - نفسه : ٢/٢٧٦.

٣٩ - معجم المصطلحات البلاغية : ١/١٨١.

تحدث سيبويه عن الاستفهام في مواضع عدة من كتابه ، وعقد له أحد أبواب كتابه فقال : هذا بابُ ما يختارُ فيه النصبُ وليس قبلَه منصوبٌ بُني على الفعل وهو بابُ الاستفهام " [٤٠] تحدث فيه عن أدواته أسماء وأفعالاً وطرائق استعمالها وفصل صور الاستعمال الشائعة ، قال :" وحروفُ الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل إلاّ أنّهم قد توسّعوا فيها فابتدأوا بعدها الأسماءَ والأصلُ غيرُ ذلك ، ألا ترى أنّهم يقولون : هَلْ زيدٌ منطلقٌ وهل زيدٌ في الدار وكيف زيدٌ آخذٌ ؟ " [٤١].

وتحدث سيبويه كذلك عن بعض خصائص الهمزة ودخولها على من الاستفهامية وعلى الواو والفاء وأدوات الشرط ووقوعها بـــدلاً من واو القسم في مثل" آللهِ لتفعلنّ؟ إذا استفهمتَ ، أضمروا الحرف الذي يجر وحذفوا تخفيفاً على اللسان وصارت ألف الاستفهام بدلاً منه في اللفظ معاقباً " [٤٢].

وهكذا يتابع سيبويه وضع أسس درس الاستفهام فيذكر أدواته الأخرى ويفصّل الحديث عنها ، ويلمّح أحياناً إلى خروج الاستفهام إلى أغراض خاصة كقوله :" ومثل ذلك قوله تعالى﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾ (الزخرف : ١٦) فقد علم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون أن الله عز وجل لم يتخذ ولداً ، ولكنه جاء على حرف الاستفهام ليبصروا ضلالتهم ، ألا ترى أن الرجل يقول للرجل : آلسعادةُ أحبُّ إليك أم الشقاء ؟ وقد علم أن السعادة أحب إليه من الشقاء وأن المسئول سيقول السعادة ، ولكنه أراد أن يبصّر صاحبه وأن يعلّمه " [٤٣].

هذه الإشارات القليلة إلى مقام الكلام وكون الاستفهام هنا لا يراد لحقيقته بل للإنكار والتوبيخ والتبكيت هي التي صارت عماد البحث البلاغي عن الاستفهام فيما بعد .

وفي معجم المصطلحات البلاغية يذكر المؤلف الأغراض البلاغية للاستفهام حين يخرج عن معناه الحقيقي ، فهو " استفهام العالم بالشيء مع علمه به ويقصد به غير طلب الفهم الذي هو الاستفهام عن شيء لم يتقدم له به علم .. والأغراض التي يخرج

٤٠- كتاب سيبويه : ١ / ٩٨.
٤١ - سيبويه : الكتاب : ١/٩٨-٩٩.
٤٢ - نفسه : ٣/ ١٦١.
٤٣ - نفسه : ٣/ ١٧٣.

إليها الاستفهام كثيرة ، وقد ذكر المتقدمون كسيبويه والفراء وأبي عبيدة وابن قتيبة والمبرد قسماً كبيراً منها ، ولكن البلاغيين المتأخرين كالسكاكي والقزويني وشراح تلخيصه والذين ألفوا في علوم القرآن كالزركشي والسيوطي جمعوها مرتبة في مباحث الاستفهام"[٤٤].

وقد ذكر المعجم من أغراض الاستفهام : الإثبات والإخبار والاستبطاء والاستبعاد والاسترشاد والافتخار والاكتفاء والأمر والإنكار والإياس والإيناس والتأكيد والتبكيت والتجاهل والتحذير والتحضيض والتحقير والتذكير والترغيب والتسهيل والتسوية والتشويق والتعجب والتعظيم والتفجع والتفخيم والتقرير والتكثير والتمني والتنبيه والتهديد والتهكم والتهويل والتوبيخ والدعاء والعتاب والعرض والنفي والنهي والوعيد والاستقصاء .

ولا شك أن هذه الأغراض ليس عليها اتفاق بين البلاغيين ، فما يراه بعضهم غرضاً في سياق ما قد يراه آخرون على غير ذلك معنى أو اصطلاحاً ولكن القصد أن البلاغيين تتبعوا سياقات الكلام حتى استصفوا هذه الأغراض للاستفهام ، بعد أن بنوا بحثهم على المهاد النحوي للمسألة كما أوضحنا .

ومن شواهد الاستفهام البلاغي عند الزمخشري :

أ- الاستفهام للإنكار:

١- في قوله تعالى﴿ **أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا**﴾ (الإسراء:٤٠) قال : " أفأصفاكم ، الهمزة للإنكار ، يعني : أفخصّكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ، لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه ، واتخذ أدْوَنَهم وهي البنات ؟ "[٤٥].

٢- في قوله تعالى﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾(البقرة : ٢٨) قال :" فإن قلت : فقد آل المعنى إلى قولك : على أي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة ، فما وجه صحته ؟ قلت قد ذكرنا أن معنى

---

٤٤ - معجم المصطلحات البلاغية : ١/١٨٣.

٤٥ - الكشاف : ٢/ ٦٦٨ .

الاستفهام في كيف الإنكار ، وأن إنكار الحال متضمن لإنكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل : ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه " [٤٦].

٣- ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(الأعراف : ٣٢) قال :" ومعنى الاستفهام في "من" إنكار تحريم هذه الأشياء" [٤٧].

ب - **الاستفهام للتفخيم** ، ومنه ما في قوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾(النبأ:١-٢) قال :" ومعنى هذا الاستفهام : تفخيم الشأن ، كأنه قال : عن أي شأن يتساءلون ؟ ونحوُه ما في قولك : زيدٌ ما زيد ؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره"[٤٨].

وقد ذكر السيوطي اثنين وثلاثين معنى سياقياً للاستفهام في القرآن [٤٩] ، وهو من ولع المتأخرين بكثرة التقسيم والتفريع ، ومع ذلك ففيه دلالة على أن الدرس البلاغي السياقي امتد إلى مواضع جديدة لم ينشغل بها الدرس النحوي الذي رأى أن مهمته الأولى ضبط اللغة ووضع الأسس والتصورات العامة للسان العرب .

***

٣- الإسناد [٥٠]:

يدرس النحاة مسألة الإسناد من زاوية صحة الكلام وتمامه أو نقصانه ، وفي ذلك يقول سيبويه عن المسند والمسند إليه :" وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ، ولا يجد المتكلم منه بداً ، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبدُ الله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك : يذهب عبد الله ، فلا بد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء" [٥١] .

---

٤٦ - نفسه : ١/ ١٢٢.
٤٧ - نفسه : ٢/١٠١.
٤٨ - نفسه : ٤/٦٨٤.
٤٩ - الإتقان : ٣/٢٠٠ وما بعدها .
٥٠ - معجم المصطلحات البلاغية : ١/٢٠١ .
٥١ - سيبويه : الكتاب :١/٢٣.

وعبد القاهر يزيد الأمر تفصيلاً بقوله :" معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض ، وجعل بعضها بسبب من بعض ، والكلم ثلاث : اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينها طرق معلومة ، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام : تعلق اسم باسم ، وتعلق اسم بفعل ، وتعلق حرف بهما " [٥٢] .

ويقوم التركيب الأساسي للجملة العربية على الإسناد ، أي إسناد لفظ إلى آخر – بشروطه – فيكوّنان معاً تركيباً دالاً يسمى جملة ، وهذه فكرة منطقية عقلية منظمة لفن القول ، فلا مسند بدون مسند إليه ، إذ لا يكون أحدهما بدون الآخر كلاماً ، ولا يؤدي معنى ، وهذا هو الأساس العملي الذي تأصّلت عنه فيما بعد الأسس النظرية لفكرة الإسناد في النحو ، فصارت ذات تعريفات وحدود وقواعد .

وعرّف معجم المصطلحات البلاغية الإسناد بأنه " ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه .. ثم قال : وقد أقام عليه البلاغيون المتأخرون مباحث الخبر وأغراضه وأنواعه " [٥٣] .

الإسناد إذن عملية عقلية تصورية يتم بها تصور العلاقة بين المسند والمسند إليه في الجملة الفعلية وهما الفعل والفاعل ، وبين المسند إليه والمسند في الجملة الاسمية وهما المبتدأ والخبر .

وتحدث عبد القاهر عن مزية تقديم المسند إليه لتقوية الكلام قال :" وممّا يَحْسُن ذلك فيه ويكْثُر الوَعْدُ والضَّمانُ كقولِ الرجل : أنا أعطيكَ ، أنا أكفيكَ ، أنا أقومُ بهذا الأمر وذلك أنَّ مِنْ شأنِ من تَعِدُه وتضمنُ له أن يعترضَه الشكّ في تمامِ الوعدِ وفي الوفاءِ به فهو من أحوجِ شيءٍ إلى التَّأكيد ، وكذلك يكْثُرْ في المدحِ كقولك : أنت تُعطي الجزيلَ ، أنت تقْري في المَحْلِ .." [٥٤].

ومن مسائل الإسناد في الكشاف :

١- في قوله تعالى﴿ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾(الفرقان :١٧) قال :" فإن قلت : ما فائدة أنتم وهم ؟ وهلا قيل : أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا

---

٥٢ – عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز :٤٦ .
٥٣ – معجم المصطلحات البلاغية : ١/٢٠١ – ٢٠٢ .
٥٤ – دلائل الإعجاز : ١٠٠ .

السبيل ؟ قلت : ليس السؤال عن الفعل ووجوده ، لأنه لولا وجوده لما توجّه هذا العتاب ، وإنما هو عن متوليه ، فلابد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى يُعلم أنه المسئول عنه " [٥٥].

٢- ومثله في قوله تعالى ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ** ﴾(العنكبوت:٢٠) قال :" فإن قلت : ما معنى الإفصاح باسمه مع إيقاعه مبتدأ في قوله"ثم الله ينشئ النشأة الآخرة" بعد إضماره في قوله " كيف بدأ الخلق " وكان القياس أن يقال : كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة ؟ قلت : الكلام معهم كان واقعاً في الإعادة وفيها كانت تصطك الركب ، فلما قرّرهم في الإبداء بأنه من الله احتج عليهم بأن الإعادة إنشاء مثل الابتداء .. فكأنه قال : ثم ذاك الذي أنشأ النشأة الأولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة ، فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ " [٥٦].

٣- وينظر الزمخشري في بلاغة الإسناد إلى الجمع في قوله تعالى ﴿ **فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ** ﴾(الأعراف :٧٧) قال :" فعقروا الناقة : أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم ، وقد يُقال للقبيلة الضخمة : أنتم فعلتم كذا ، وما فعله إلا واحد منهم " [٥٧] .

٤- في قوله تعالى ﴿**تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ** ﴾(التوبة :٩٢) حيث أسند الفيض إلى ضمير الأعين في " تفيض " وحول الدمع من ذلك الإسناد إلى اسم مجرور ، قال :" تفيض من الدمع كقولك : تفيض دمعاً ، وهو أبلغ من "يفيض دمعها" لأن العين جُعلت كأن كلها دمع فائض " [٥٨] ولاشك أن الزمخشري في هذا التحليل متأثر بعبد القاهر كما سنورد في الشاهد التالي .

٥- في قوله ﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾ (مريم :٤) ينظر في بلاغة الاستعارة من حيث تغيّر الإسناد في الجملة ، إذ إن الفعل اشتعل هو

٥٥- الكشاف :٣/٢٦٨.
٥٦- نفسه : ٣/٤٤٩.
٥٧- نفسه :٢/١٢٣.
٥٨- نفسه :٢/٣٠١.

في الأصل للشيب ثم حول هنا إلى الرأس ، قال :" شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ، ثم أخرجه مخرج الاستعارة ، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس وأخرج الشيب محيّزاً " [٥٩].

وقدر رأى عبد القاهر أن مزية الاستعارة هنا في " أنْ سُلك بالكلام طريقُ ما يسندُ الفعلُ فيه إلى الشيءِ وهو لِما هو من سَبَبِه فيُرفعُ به ما يسندُ إليه ويؤتَى بالذي الفعلُ له في المعنى منصوباً بَعده مبيناً أنَّ ذلك الإسنادَ وتلك النسبةَ إلى ذلك الأولِ إنّما كانَ من أجلِ هذا الثاني ولما بينَه وبينَه منَ الاتّصالِ والمُلابسةِ كقولهم : طابَ زيدٌ نفساً وقرَّ عَمْرٌو عَيْناً وتَصبَّب عرقاً وكَرُم أصلاً .. وأشباهُ ذلك مما تجدُ الفعلَ فيه منقولاً عن الشيء إلى ما ذلك الشيءُ من سببِه .. فإنَّ السببَ أنه يفيدُ مع لَمعانِ الشيبِ في الرأسِ الذي هو أصلُ المعنى الشُمولَ وأنه قد شاعَ فيه وأخذَه من نواحيهِ وأنه قد استغرقه وعَمَّ جُملَتَه حتى لم يبقَ من السَّواد شَيءٌ أو لم يبقَ منه إلاَّ ما لا يُعتدُّ به وهذا ما لا يكونُ إذا قيلَ : اشتعلَ شيبُ الرأسِ أو الشيبُ في الرأس " [٦٠].

٦- في قوله تعالى ﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾(الصف :٣) قال: "هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه، قصد في " كبر" التعجب من غير لفظه كقوله:

غَلَتْ نابٌ كليبٌ بَوَاؤها [٦١]

ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله ، وأسند إلى " أن تقولوا " ونصب "مقتاً " على تفسيره ، دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه"[٦٢].

٥٩- نفسه :٣/٤ .

٦٠ - دلائل الإعجاز : ٨٢.

٦١ - تمام البيت :

وجارة جساس أبأنا بنابها كليباً غلت ناب كليب بواؤها

لرجل من بني بكر يفتخر على تغلب في حادثة مشهورة عند العرب قامت على إثرها حرب البسوس ما يقرب من ثلاثين سنة ، والمعنى : غلت قيمة تلك الناقة التي قتلها كليب فقتل بها .

٦٢- الكشاف :٤/ ٥٢٣.

والإسناد هنا إلى المصدر المؤول " أن تقولوا " الواقع فاعلاً للفعل " كبُر" وقوله: ونصب مقتاً على تفسيره" أي على التمييز كما يسميه بعض النحاة.

والذي نراه في تناول الزمخشري لمسائل الإسناد السابقة أنه اتكأ على معارفه النحوية وعبر بها إلى التحلي الجمالي السياقي ، فهو لم يناقش مسائل الإسناد كما يفعل النحاة عادة من حيث تمام الكلام أو نقصانه أو أحوال الإسناد ومشكلاته .. لكنه تناولها من وجهة بلاغية جمالية تبحث عن تحسينات الكلام ومزية تركيب على آخر .

* * *

٤- الاشتغال [٦٣] :

تحدث النحاة عن الاشتغال من قبل النظر إلى كمال التركيب اللغوي ، حيث وجدوا بعض الأسماء تأتي منصوبة أول جملتها دون ناصب ظاهر فقدروا لها ناصباً ليتفق ذلك مع مبدأ العمل النحوي الذي بني عليه النحو العربي ، قال ابن عقيل: " الاشتغال: أن يتقدم اسم ويتأخر عنه فعل قد عمل في ضمير ذلك الاسم أو في سببيه وهو المضاف إلى ضمير الاسم السابق ، فمثال المشتغل بالضمير : زيداً ضربتُه وزيداً مررتُ به ، ومثال المشتغل بالسببي : زيداً ضربتُ غلامَه " [٦٤] .

وقد أضاف البلاغيون العلة التي كان لأجلها الاشتغال ، قال الزركشي في باب الاشتغال :" فإن الشيء إذا أُضمر ثم فُسّر كان أفخم مما إذا لم يتقدم إضمار ، ألا ترى أنك تجد اهتزازاً في نحو قوله تعالى ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ** ﴾(التوبة:٦) وفي قوله ﴿ **قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي** ﴾ (الإسراء:١٠٠) لا تجد مثله إذا قلت " وإن استجارك أحد من المشركين فأجره " وقولك " لو تملكون خزائن رحمة ربي " .. فهذه فائدة اشتغال الفعل عن المفعول بضميره " [٦٥].

وذكر عبد القاهر مزية تقديم المفعول به أول الجملة وتحويله إلى مبتدأ مخبر عنه بجملة فعلية نصب فعلها ضميراً لذلك المقدم ، قال :" وهذا الذي قد ذكرتُ من أنَّ

---

٦٣ - معجم المصطلحات البلاغية : ٢١١/١.

٦٤ - بهاء الدين بن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٥١٧/١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ن.

٦٥ - الزركشي:البرهان في علوم القرآن:١٠٢/٣-١٠٣، ط دار الفكر- لبنان ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

تقديمَ ذكرِ المحدَّث عنه يفيدُ التَّنبيهَ له قد ذكَره صاحبُ الكتاب في المفعولِ إذا قُدم فرُفعَ بالابتداءِ وبُني الفعلُ الناصبُ كانَ له عليه وعُدي إلى ضميرِه فَشُغِل به كقولنا في " ضربتُ عبدَ اللَّه " : عبدُ اللَّه ضربتُه فقال : وإنما قلتَ عبدُ اللَّه فنبهتَه له ثم بَنَيْتَ عليه الفعلَ ورفعتَه بالابتداء " [٦٦].

وبعض النحاة كان يحاول إيجاد تعليل لأساليب النحو ، لكن ذلك لم يصر نهجاً عاماً بل هو أمر اجتهادي في الأساس ، وفي مسألة الاشتغال يرى السهيلي صاحب " نتائج الفكر في النحو " أن بعض صور أسلوب الاشتغال قد تفيد المدح ، قال :" كل موضع يكون القصد فيه إلى الفعل والفائدة في ذكره أقوى كان النصب فيه هو الوجه ، ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ (القمر : ٤٩) كيف أجمع القراء على نصبه ، ودل ذلك على قبح الرفع فيه لأن مقصد الآية المدح بالفعل والاقتدار على خلق الأشياء وتقديرها " [٦٧] .

وبعض المفسرين المهتمين باللغة يرون في الاشتغال لوناً من التوكيد ، ففي قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ** ﴾[الحجر:٢٦-٢٧] قال ابن عاشور:" وأُكدت جملة " والجان خلقناه " بصيغة الاشتغال التي هي تقوية للفعل بتقدير نظيره المحذوف ، ولما فيها من الاهتمام بالإجمال ثم التفصيل لمثل الغرض الذي أكدت به جملة " ولقد خلقنا الإنسان" [٦٨].

***

٥- الالتفات [٦٩]:

لم يشر النحاة إلى الالتفات صراحة كمصطلح نحوي لكن دراسته العملية تدخل في صلب الدرس النحوي وبخاصة في مسائل الضمير كما سنرى .

---

٦٦ - دلائل الإعجاز : ٩٨.

٦٧ - أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي : نتائج الفكر في النحو : ٣٣٦ ، ط دار الكتب العلمية - لبنان ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٦٨ - محمد الطاهر بن عاشور التونسي : تفسير التحرير والتنوير (٨ / ٥١) نسخة إلكترونية ضمن برنامج المكتبة الشاملة .

٦٩- معجم المصطلحات البلاغية:٢٩٤/١، وقد أورد المعجم تعريفات عديدة للالتفات وذكر أن السكاكي أدخله في علم المعاني .

والالتفات في الأصل استبدال تركيب نحوي كان السياق يتطلبه لنَسْقِ الكلام بعضه على بعض على ما اعتاده الناس من تعاملهم باللغة .. استبداله بتركيب آخر غير متوقع في المعتاد من الكلام ، ولكن حل محل التركيب المنتظر تركيب آخر كان أبعد في التوقع والترقب ، وذلك لإحداث هزّة في المتلقي تنبهه بأن ثمة أمراً يجب له مزيد من الانتباه ... فالعملية في أصلها نحوية استتبعت دلالات متنوعة يحكمها السياق ، وغالباً ما يكون ذلك عن طريق استبدال الضمائر ، قال السيوطي عن الالتفات :" نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير الأول ، وله فوائد منها تطرية الكلام ، وصيانة السمع عن الضجر والملال ، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد ، وهذه فائدته العامة " [٧٠].

ومن مواضع الالتفات في الكشاف :

١- في قوله تعالى ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾(النساء :٦٤) قال :" ولم يقل : واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات ، تفخيماً لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيماً لاستغفاره ، وتنبيهاً على أن شفاعة مَنْ اسمُه الرسولُ من الله بمكان " [٧١].

٢- في قوله تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ** ﴾(يونس :٢٢) قال:" فإن قلت : ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت : المبالغة ، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبّهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح " [٧٢].

قلت : تدبرت كثيراً في هذا الالتفات فوجدته يبدأ بضميرين للمخاطبين" يسيركم -- كنتم " ثم تنتقل إلى ضمائر الغيبة بعد ذلك " جرين بهم – فرحوا بها – جاءهم الموج – ظنوا – بهم – دعوا " ويتصل الحديث في الآية التالية لها " أنجاهم – هم يبغون " ثم يعود السياق إلى الخطاب مرة ثانية " يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم " وهذا

---

٧٠ – الإتقان : ٣ / ٢١٤ .

٧١– الكشاف :١/٥٢٨.

٧٢– نفسه :٢/٣٣٨.

من بدائع القرآن في توظيف الضمائر ، لقد خاطبهم أولاً اعتداداً بهم وبيان فضله عليهم .. فلما تركوا اليابسة التي فيها الحياة والحضور والشهود وصاروا إلى لجة البحر وصاروا غائبين عن حياة اليابسة ... تحولت ضمائر الحضور إلى الغيبة .. ثم حدثت الريح فاستجاروا ونجاهم الله ... ومع ذلك لم يتعظوا .. ومن ثم عاد إلى الخطاب للتحذير المباشر .

٣- في قوله تعالى ﴿ **وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾(النحل :١٦) قال :" فإن قلت : قوله: " وبالنجم هم يهتدون " مخرج عن سنن الخطاب ، مقدم فيه " النجم" مقحم فيه "هم" كأنه قيل : وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون ، فمن المراد بهم ؟ قلت : كأنه أراد قريشاً ، كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم ، وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم ، فكان الشكر أوجب عليهم ، والاعتبار ألزم لهم ، فخصصوا " [٧٣].

قلت : الكلام في الآيات السابقة على هذه الآية من السورة جاء بكاف الخطاب لأهل مكة والناس جميعاً (الآيات : ٥ – ١٥) حيث وردت كاف الخطاب في تلك الآيات اثنتي عشرة مرة مع تعداد نعم الله عز وجل على الناس ، ثم جاء هذا الالتفات في الآية (١٦) ليخرج الكلام من نسق الخطاب إلى نسق الغيبة لينتبه المخاطبون .

٤- في قوله تعالى ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا** ﴾ (مريم :٨٨-٨٩) قال :" وفي قوله :" لقد جئتم " وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة .. زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرّض لسخطه ، وتنبيه على عظم ما قالوا " [٧٤].

قلت : هذه الفرية على الله تعالى لم يقلها أحد غير هؤلاء الذين زعموا أن لله ولداً وهي جريمة عظيمة عقوبتها الخلود في النار لما فيها من الجرأة على الله عز وجل ولذا حدثت هذه الهزة في التعبير من تحويله من الغائب إلى المخاطب ليتدبر من له أدنى فكر أو عقل .

٥- في قوله تعالى﴿ **طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى. تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى** ﴾(طه :١-٤) قال :" فإن قلت : ما فائدة

٧٣- نفسه :٢/٥٩٩.

٧٤- الكشاف :٣/٤٥ .

النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب ؟ قلت : غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ، ومنها أن هذه الصفات إنما تسرّدت مع لفظ الغيبة ، ومنها أنه قال أولاً " أنزلنا " ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع ، ثم ثنّى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد، فضوعفت الفخامة من طريقين" [٧٥].

قلت : بدأت الضمائر بضمير العظمة العائد على الله تعالى في " أنزلنا " ثم بالخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في " عليك لتشقى " ثم بالغيبة في " لمن يخشى " ثم بالغيبة في " خلق " وضميره عائد على الله سبحانه وتعالى ، كل هذا التنوع في الخطاب ليتدبر الناس القرآن وبلاغته العليا ، وهنا نكتة كذلك في تحول الأسلوب من الخطاب في " لتشقى" إلى الغيبة في " لمن يخشى " وهي أن الأول نفي الشقاء عن شخص النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الخشية أمر عام لكل من يتذكر بهذا القرآن ، لذا جاء بلفظ الغيبة الذي هو أعم وأشمل في هذا السياق ، والله أعلم .

٦- في قوله تعالى ﴿ **وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ** ﴾ (النمل :٦٠) قال :" فإن قلت : أيُّ نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا ؟ قلت : تأكيد معنى اختصاص الفعل بذاته ، والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال مع حسنها وبهجتها بماء واحد ، لا يقدر عليه إلا هو وحده " [٧٦].

***

٦- الأمر [٧٧]:

درس النحاة فعل الأمر وبينوا علامات بنائه وجزم المضارع في جوابه ، وذكروا ما يقوم مقامه مثل المضارع المسبوق بلام الأمر ، واسم فعل الأمر مثل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ (المائدة : ١٠٥) والمصدر النائب عن فعل الأمر كقوله تعالى ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾ (محمد:٤) وذكر سيبويه أن الأمر قد يكون للإباحة في مثل " جالسْ عمْراً أو خالداً أو بِشراً ، كأنك قلت : جالس أحدَ

٧٥- نفسه :٣/٥١.

٧٦- نفسه :٣/٣٧٦.

٧٧ - معجم المصطلحات البلاغية : ١/٣١٣.

هؤلاء ولم ترد إنساناً بعينه ، ففي هذا دليلٌ أن كلهم أهلٌ أن يجالس كأنك قلت : جالس هذا الضرب من الناس ، وتقول : كلْ لحماً أو خبزاً أو تمراً ، كأنك قلت : كلْ أحد هذه الأشياء فهذا بمنزلة الذي قبله " [٧٨].

وذكر سيبويه كذلك أن الأمر في خطاب البشر ربهم لا يسمى أمراً تأدباً مع الله ، قال :" واعلم أنّ الدعاءَ بمنزلة الأمر والنهى ، وإنما قيل دعاءٌ لأنه استُعْظِمَ أنْ يقال أمرٌ أو نَهْيٌ ، وذلك قولُك : اللهمَّ زيداً فاغفرْ ذنبَه ، وزيداً فأَصلحْ شأنَه وعَمْراً لِيَجْزِه اللهُ خيراً " [٧٩].

وقد درس البلاغيون الأمر تحت مبحث الطلب وبينوا الأغراض البلاغية للأمر ودخل " أسلوب الأمر في علم المعاني حينما قسم السكاكي البلاغة إلى أقسامها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع " [٨٠] ومن ثم درس البلاغيون أغراض الأمر ، وهي أغراض سياقية تستشف من كل سياق على حدة.

وهذا في الحقيقة فارق جوهري بين نظر النحوي والبلاغي ، فالنحوي ينظر إلى العموم والقواعد العامة والأساسية التي تنبني عليها اللغة في نظام متكامل وبنيان تام شامل تندرج تحته الجزئيات ، أما البلاغي فباحث عن الأساليب والسمات والسياقات الخاصة ، واللغة في حاجة إلى المجالين كليهما من الدرس ، فالأول يضبط الأسس العامة التي لا تدرس اللغة بدونها ، والثاني يبحث عن جماليات اللغة وأساليبها وذوقها ولذا يقول الدكتور محمد أبو موسى :" إن استعمال كلمة التطبيق في الدراسة البلاغية تستحق من الأهمية أكثر مما تستحق إذا استعملت في الدراسة النحوية ؛ لأنها تعني هنا التفسير والتحليل والشرح ، وهذا شيء له خطورته في دراسة الشعر والأدب"[٨١].

من هذا المنطلق يغوص البلاغيون في أعماق اللغة ليستخلصوا أهم أغراض الأمر من سياقات الكلام المتعددة ، وقد عدد معجم المصطلحات البلاغية تلك الأغراض على النحو الآتي : الأمر للإباحة وللاحتقار والإرشاد والاعتبار والإكرام والالتماس

---

[٧٨] – كتاب سيبويه :٣/١٨٤.

[٧٩] – نفسه : ١/١٤٢.

[٨٠] – معجم المصطلحات البلاغية : ١/٣١٥.

[٨١] – د/محمد أبو موسى: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٣٧.

والامتنان والإنذار والإنعام والإهانة والتأديب والتحريم والتخيير والتسخير والتسليم والتعجب والتعجيز والتفويض والتكذيب والتكوين والتلهيف والتمني والتهديد والخبر والدعاء والعجب والفرض والندب والمشورة والواجب والوعيد .

هذه كلها معان سياقية تُستفاد من بحث كل سياق على حدة ، وما كان للنحو الذي أراد أن يضبط القواعد العامة للغة وإعرابها ونظامها العام أن ينشغل بمثل ذلك التفصيل الذي هو أمر زائد على مهمته الأصلية ، ومن ثم تكفلت البلاغة بهذه المهمة بانيةً على ذلك الأساس النحوي المتين الذي وضعه النحاة .

قال القزويني :" ومن أنواع الإنشاء الطلبي الأمر ، والأظهر أن صيغته موضوعة لطلب الفعل استعلاء لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة .. ثم ذكر أن صيغة الأمر قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام كالإباحة .. والتهديد والتعجيز والتسخير والإهانة والتسوية والتمني والدعاء والالتماس والاحتقار ومنه ﴿ **أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ**﴾ (يونس : ٨٠) [٨٢] .

ومن شواهد الأغراض البلاغية للأمر كذلك :

- الأمر للاعتبار مثل ﴿ **انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ**﴾ (الأنعام : ٩٩).
- وللإنذار ﴿ **قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ**﴾ (إبراهيم:٣٠) .
- والإنعام أي التذكير بالنعمة ﴿ **كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ﴾(الأنعام : ١٤٢).

***

٧- تتابع الإضافات [٨٣]:

من التراكيب الشائعة في العربية التركيب الإضافيّ ، حيث تضاف كلمة إلى كلمة بعدها أو ضمير أو جملة اسمية أو فعلية لأداء معنى من ضم الكلمتين لا يمكن أداؤه لكل واحدة منهما منفصلة مثل : كلامُ الله ، فالمعنى المستفاد من ضم الكلمتين في تركيب واحد يعرف بالتركيب الإضافي لا يستفاد من كل كلمة على حدة .

وقد حذّر عبد القاهر من تداخل الإضافات ، ففي قول الشاعر :

---

٨٢ - الإيضاح في علوم البلاغة : ١٤٧.

٨٣ - معجم المصطلحات البلاغية : ٢/٢٤.

يا مسكَةَ العطَّارِ وخالَ وَجْهِ النَّهارِ

رأى أنه " كانت الملاحةُ في الإضافةِ بعد الإضافة لا في استعارةِ لفظةِ الخالِ إذ معلومٌ أنه لو قالَ : يا خالاً في وجهِ النهار أو : يا من هو خالٌ في وجهِ النهار لم يكنْ شيئاً ، ومن شأنِ هذا الضربِ أن يدخُلَه الاستكراهُ ، قال الصاحبُ : " إيّاك والإضافاتِ المُتَداخلةَ فإنَّ ذلك لا يَحْسُن " وذكر أنَّه يُستعمل في الهجاء كقولِ القائل:

يا عليُّ بنَ حمزةَ بنِ عمارَهْ أنتَ واللهِ ثَلْجَةٌ في خِيارَهْ

ولا شُبهةَ في ثقلِ ذلك في الأكثرِ ولكنه إذا سلمَ منَ الاستكراهِ لَطُفَ ومَلُح"[٨٤].

وقد تكون في الجملة إضافة واحدة أو أكثر متتابعة أو متفرقة ، والكلام هنا عن الإضافات المتتابعة التي لم يكن ذوق العربية يسمح بكثرتها ، والمعتاد أنها حين تكثر تكون اثنتين أو ثلاثاً بما فيها الضمائر التي هي أشبه بالحروف لقلة حروف هجائها ، ومن النادر تتابع أربع إضافات في سياق واحد ، ففي قوله تعالى ﴿ **ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**﴾(مريم:٢) أضيفت رحمة إلى ذكر ورب إلى رحمة وكاف الخطاب إلى رب ، ومما يخفف من وقع هذا التتابع الإضافي وضع ضمير المخاطب الكاف مكان صاحبه الصريح وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وظاهرٌ أن هذا التركيب أخفُّ نطقاً وكتابة من" ذكرُ رحمةِ ربٍّ محمدٍ عبدَه زكريا ".

هذا فيما نحسب ذوق العربية التي لم تفضّل الإكثار من التتابع الإضافي في جملة واحدة ، ولكن هذا الأسلوب صار شائعاً في النثر العربي كما يقول الدكتور مصطفى التوني :" وثمة اتجاه في النثر العربي الحديث لم يعهد من قبل يتعلق بتراكم الإضافة مثل : استحالةُ وقفِ انتفاضةِ شعبِ فلسطينَ ، وهذه التراكيب يرجع كثير منها إلى تأثر النثر العربي بالأساليب الأجنبية " [٨٥].

* * *

---

٨٤ – دلائل الإعجاز : ٨٤ .

٨٥– د/مصطفى زكي التوني : علل التغيير اللغوي :١٦، حوليات كلية الآداب – جامعة الكويت ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

٨- التعريف والتنكير [٨٦] :

يذكر النحاة أن النكرة أصل والمعرفة فرع عليها ، بمعنى أن الشيء مبدأ أمره يكون نكرة ثم يعرف بأل التعريف أو الإضافة أو يصبح عَلَماً ... قال سيبويه : " النكرة أشدّ تمكناً من المعرفة لأن الأشياء إنما تكون نكرةً ثم تُعرّف " [٨٧] ودرس النحاة في مباحث الجملة الاسمية مسوغات الابتداء بالنكرة فأكثروا فيها القول .

جاء في معجم المصطلحات البلاغية :" المعرفة ما دلّ على شيء بعينه ، والنكرة ما دلّ على شيء لا بعينه ، وأقسام المعرفة : المضمر والعلم واسم الإشارة والاسم الموصول والمعرف بالألف واللام والمضاف إلى واحد منها إضافة معنوية وتتفاوت النكرات أيضاً في مراتب التنكير ، وكلما زادت النكرة عموماً زادت إبهاماً في الوضع " [٨٨].

والتعريف والتنكير مسألة سياقية ، بمعنى أنك في سياق ما يمكن أن تورد اللفظ معرفة وأن تورده نكرة إذا كان مما يجري عليه التعريف والتنكير ، ولكنك تختار ما يناسب سياق الكلام وأغراضه ، قال السيوطي :" اعلم أن لكل منهما مقاماً لا يليق بالآخر " [٨٩].

وقد أخذ البلاغيون الجهد النحوي في درس التعريف والتنكير واتجهوا به وجهة زائدة على عمل النحاة حين بحثوا عن سياق الحال الذي يلائم التعريف والتنكير فتحدثوا عن المواضع التي يصلح لها كل منهما وجمعوا لذلك الشواهد من لغة العرب.

وتحدث عبد القاهر عن الفروق بين الخبر المعرفة والنكرة في : زيد منطلق وزيد المنطلق .. فقال :" اعلم انك إذا قلتَ : زيدٌ منطلقٌ كانَ كلامُك مع من لم يَعْلَم أن انطلاقاً كان لا مِنْ زيدٍ ولا مِنْ عمروٍ فأنت تفيدُه ذلك ابتداءً ، وإذا قلتَ: زيدٌ المنطلقُ

---

٨٦ - معجم المصطلحات البلاغية : ٢/٢٨٢.

٨٧ - كتاب سيبويه : ٣/٢٤١ .

٨٨ - معجم المصطلحات البلاغية : ٢/٢٨٢.

٨٩ - السيوطي : الإتقان في علوم القرآن : ١/٣٨٥ .

كان كلامُك مع من عرفَ أن انطلاقاً كان إمّا مِنْ زيدٍ وإمّا من عَمْرٍو فأنتَ تُعْلِمُه أنه كان من زيدٍ ودونَ غيره " [٩٠].

وذكر السيوطي " قاعدة في التعريف والتنكير " أورد فيها أسباباً سياقية تستدعي أيّاً منهما وذكر شواهد قرآنية لكلٍ ، وأحال على الزمخشري في بعض مواضعه [٩١].

وقد استفاد الزمخشري – كما ذكرنا – من الجمع بين النحو والبلاغة عملياً في الكشاف ، وهذه مواضع مما ذكره في مجال التعريف والتنكير :

أولاً : التعريف :

ذكر الزمخشري بعض الفوائد من ذكر لفظ ما معرّفاً في سياق كان من الممكن – في غير القرآن – أن يأتي فيه نكرة ، فيذكر الفرق بين الحالين ، ومن ذلك :

١– في قوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ** ﴾(فاطر:١٥) قال الزمخشري :" فإن قلت :لمَ عرّف الفقراء ؟ قلت : قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدّة افتقارهم إليه هم جنس الفقراء ، وإن كانت الخلائق كلهم مفتقرين إليه من الناس وغيرهم ، لأن الفقر مما يتبع الضعف ، وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر ، وقد شهد الله سبحانه على الإنسان بالضعف في قوله﴿**وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾ (النساء:٢٨) ولو نكّر لكان المعنى : أنتم بعض الفقراء " [٩٢].

إن اهتمام النحوي في هذا التركيب منصبّ على اكتمال أركانه ، حيث جملة " أنتم الفقراء " جملة اسمية تامة ليس فيه حذف لأحد ركنيها أو تقديم أو تأخير ، ويزيد البلاغي هنا – وربما يكون ذلك عند بعض حذّاق النحاة – النظر في دقائق التركيب كمجيء المبتدأ ضميراً للمخاطب أو التعريف في الخبر لدلالات خاصة ...

٢– في قوله تعالى﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا**﴾(البقرة: ١٢٦) وقوله ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا**﴾(إبراهيم: ٣٥) قال الزمخشري " فإن قلت: أي فرق بين قوله : اجعل هذا بلداً آمناً وبين قوله " اجعل هذا البلد آمناً" ؟ قلت

---

٩٠ – عبد القاهر : دلائل الإعجاز : ١٢٦ .
٩١– السيوطي : الإتقان : ٥٨٨/١.
٩٢ – الكشاف :٦٠٦/٣ .

: قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون ، وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن ، كأنه قال : هو بلد مخوف فاجعله آمناً " [٩٣].

قلت : يبدو – والله أعلم – من السياقين أن الدعاء في سورة البقرة كان أولاً لأنه طلب جعل المكان المشار إليه بهذا بلداً آمناً ، والدعاء في سورة إبراهيم كان بعد نشأة البلد فطلب له الأمن بصيغة التعريف " هذا البلد " أي أنه طلب له الأمن مرتين ، وقال الكرماني عن آية البقرة ": هذا هنا إشارة إلى المذكور في قوله " بواد غير ذي زرع " قبل بناء الكعبة ، وفي إبراهيم إشارة إلى البلد بعد الكعبة " [٩٤] .

ومما ذكره السيوطي في مقام التعريف أنه يأتي لأسباب سياقية متنوعة كالتعظيم أو الإهانة أو التعريض بغباوة السامع أو التحقير .. [٩٥].

ثانياً : التنكير :

ذكر الزمخشري في الكشاف أغراضاً عديدة للتنكير مثل التنكير للتعظيم والتقليل والتخصيص والإبهام والتكثير والسخرية والتبعيض ، وقد استخلص تلك الأغراض من سياق الكلام في القرآن ، ولعلنا نذكّر هنا بأن الدراسة النحوية المجردة القائمة على المعيارية قد لا يُتاح لها مثل هذه اللفتات الجمالية لأن لها مجالاً آخر ذكرناه في غير موضع من هذه الدراسة .

وقد جمعت شواهد كثيرة من الكشاف لهذه المصطلحات ، ولكني سأكتفي بالقليل منها للبيان فقط ، ومن ذلك :

أ – التنكير للتعظيم :

والمراد بالتعظيم هنا تفخيم الأمر وإظهاره بصورة خاصة ليكون أوقع في النفس ومنه :

---

٩٣ – نفسه : ٢/ ٥٥٧ .

٩٤ – محمود بن حمزة الكرماني : البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان : ٣٥، نشره عبد القادر أحمد عطا بعنوان : أسرار التكرار في القرآن ، ط٣ دار الاعتصام ١٣٩٨هـ –١٩٧٨م .

٩٥ – السيوطي : الإتقان : ١/٥٨٩ وما بعدها .

١- في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(البقرة : ٢٦٩) قال:" خيراً كثيراً : تنكير للتعظيم ، كأنه قال : فقد أوتي أيَّ خير كثير " [٩٦].

٢- في قوله تعالى ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾(الأعراف : ١١٣) قال :" والتنكير للتعظيم ، كقول العرب : إن له لإبلاً وإن له لغنماً ، يقصدون الكثرة " [٩٧].

٣- في قوله تعالى ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾(الحجر:١) قال : "وتنكير القرآن للتفخيم ، والمعنى : تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً ، وأي قرآن مبين ، كأنه قيل : الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان " [٩٨].

٤- في قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٨) قال :" وقوله " على ذهاب به " من أوقع النكرات وأحزّها للمفصل ، والمعنى : على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه ، وفيه إيذان باقتدار المُذهب ، وأنه لا يتعايا عليه شيء إذا أراده " [٩٩].

٥- في قوله تعالى ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الجاثية :١٤) قال :" فإن قلت : قوماً ما وجه تنكيره وإنما أراد الذين آمنوا وهم معارف ؟ قلت : هو مدح لهم وثناء عليهم ، كأنه قيل : ليجزي أيما قوم وقوماً مخصوصين ، لصبرهم على أذى أعدائهم من الكفار ، وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص " [١٠٠].

ب - التنكير للتقليل :

يأتي التنكير في بعض السياقات لتقليل الشيء عدداً أو قيمة أو مكانة ، ومنه :

---

[٩٦] - الكشاف : ١/ ٣١٦ .
[٩٧] - نفسه : ٢/ ١٣٩ .
[٩٨] - نفسه: ٢/ ٥٦٩ .
[٩٩] - نفسه: ٣/ ١٨٠.
[١٠٠] - نفسه :٤/ ٢٨٨ .

١- في قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ (البقرة :٤٨) قال :" ومعنى التنكير أن نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس منها شيئاً من الأشياء وهو الإقناط الكلي القطّاع للمطامع " [١٠١] .

قلت : وقد نكّر" يوماً " كذلك تعظيماً لشأنه وتهويلاً .

٢- في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ (المائدة:٩٤) قال :" فإن قلت : ما معنى التقليل والتصغير في قوله " بشيء من الصيد " ؟ قلت : قلل وصغّر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين ، كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال ، وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك وأنهم إذا لم يثبتوا عنده،فكيف شأنهم عند ما هو أشد منه؟" [١٠٢].

٣- في قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ (الأعراف :١٣١) قال :" فإن قلت : كيف قيل : فإذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة ، وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة ؟ قلت : لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها،ومنه قول بعضهم : قد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء" [١٠٣].

قلت : هذا على ملاحظة بعض النحاة أن الشرط بإذا كثير التحقق ، وبإن قليل ، وهو أمر ملاحظ ، لكنه ليس عاماً و لا مطلقاً ، بل رهن بالسياق .

٤- في قوله تعالى ﴿ وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ (النحل :٩٤) قال :" فإن قلت : لم وُحدّت القدم ونُكّرت ؟ قلت : لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه ، فكيف بأقدام كثيرة " [١٠٤].

ج- التنكير للتخصيص :

والمراد بالتخصيص هنا إرادة نوع واحد من أنواع متعددة ممكنة لشيء ما، ومنه:

١٠١- نفسه :١/١٣٦.

١٠٢- نفسه:١/٦٧٧، وأهل أيلة هم أصحاب السبت، وردت قصتهم في البقرة والنساء والأعراف .

١٠٣- نفسه :٢/١٤٤-١٤٥ .

١٠٤- نفسه :٢/٦٣٣.

١- في قوله تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾(البقرة: ٩٦) قال :" لمَ قال:حياة على التنكير؟ قلت : لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة "[١٠٥].

وقد سبق عبد القاهر إلى بيان جمال هذا التنكير فرأى أنه " قِيلَ " على حياة " ولم يَقُلْ على الحياةِ حُسناً وروعةً ولطفَ موقعٍ لا يُقَادَرُ قَدْرُه ، وتجدُك تَعْدَم ذلك مع التعريفِ وتخرجُ عن الأريحيَّة والأُنْسِ إلى خلافِهما ، والسَّبَبُ في ذلك أنَّ المعنى على الازديادِ منَ الحياةِ لا الحياةِ من أصلِها وذلك لا يحرص عليه إلاّ الحيُّ ، فأمَّا العادمُ للحياة فلا يَصِحُ منه الحرصُ على الحياةِ ولا على غيرها " [١٠٦].

٢- في قوله تعالى ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ (النساء :٦) قال :" فإن قلت : ما معنى تنكير الرشد ؟ قلت : معناه نوعاً من الرشد ، وهو الرشد في التصرف والتجارة أو طرفاً من الرشد ومخيلة من مخايله ، حتى لا يُنتظر به تمام الرشد " [١٠٧].

٣- في قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾ (النور :٤٥) قال :" فإن قلت: لم نكّر الماء في قوله " من ماء " قلت : لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة ، أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة ، فمنها هوام ومنها بهائم ومنها ناس " [١٠٨].

د - التنكير للإبهام :

في قوله تعالى ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر :٢) قال: " وتنكيره الرحمة للإشاعة والإبهام ، كأنه قال : من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية ، فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها " [١٠٩].

هـ - التنكير للتكثير :

١٠٥- نفسه :١٦٨/١ .
١٠٦ - دلائل الإعجاز : ١٩٣ .
١٠٧- الكشاف :٤٧٣/١ .
١٠٨- نفسه :٢٤٦/٣ .
١٠٩- نفسه : ٥٩٦/٣ .

في قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ (فاطر :٤) قال : " فإن قلت : ما معنى التنكير في " رسل " ؟ قلت : معناه : فقد كذبت رسل ، أي رسل ذوو عدد كثير ، وأولو آيات ونُذر وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك ، وهذا أسلى له ، وأحثُّ على المثابرة " [١١٠].

و- التنكير للسخرية :

في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(سبأ: ٧) قال :" فإن قلت : كان رسول الله مشهوراً عَلَماً في قريش ، وكان إنباؤه بالبعث شائعاً عندهم فما معنى قوله " هل ندلكم على رجل ينبئكم " فنكّروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول ؟ قلت : كانوا يقصدون بذلك الطنْـزَ والسخرية ، فأخرجوه مخرج التحلي ببعض الأحاجيّ التي يُتحاجَى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره"[١١١].

ز- التنكير للتبعيض :

في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ ﴾ (الحجرات :١٢) قال :" فإن قلت : بَيِّن الفصل بين " كثيراً " حيث جاء نكرة ، وبينه لو جاء معرفة قلت : مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وأن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين ، لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل ، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة ، مع استشعار للتقوى والحذر ، ولو عُرّف لكان الأمر باجتناب الظن منوطاً بما يكثر منه دون ما يقل ، ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنباً ، وما اتصف منه بالقلة مرخصاً في تظننه " [١١٢].

* * *

١١٠- نفسه : ٣/٥٩٨ .

١١١- نفسه : ٣/ ٥٧٠ ، الظنـز : السخرية والاستهزاء ، قال الجـوهري : أظنه مولداً أو معرباً " اللسان : ظنـز " .

١١٢- نفسه : ٤/٣٧١ .

٩- **التوكيد** [١١٣]:

أدرج معجم المصطلحات البلاغية مصطلح " التأكيد " ضمن قائمة مصطلحات البلاغة ، وأورد تعريفه اللغوي من لسان العرب ثم من الطراز ليحيى العلوي ، وذكر أن له مجريين : الأول : عام وهو يتعلق بالمعاني الإعرابية ، ولا يتعلق هذا النوع بمقاصد البلاغة ، والثاني : خاص يتعلق بعلوم البيان ، وقال الزركشي عن التوكيد :" القصد منه الحمل على مالم يقع ليصير واقعاً ؛ ولهذا لا يجوز تأكيد الماضي ولا الحاضر لئلا يلزم تحصيل الحاصل وإنما يؤكد المستقبل"[١١٤].

ومصطلح التوكيد من المصطلحات الدائرة في كتب النحو قديماً وحديثاً ، وهو يدخل في كثير من أبواب النحو ، ومع ذلك خصّه النحاة بدرس خاص به ضمن التوابع ، درسوا فيه التوكيد اللفظي الذي هو تكرار اللفظ أو الجملة ، والتوكيد المعنوي الذي له ألفاظ معلومة بشروط محددة ، ولكن التوكيد كما ذكرت يدخل في أبواب كثيرة من أبواب النحو ، كحروف النصب " إنّ وأنّ " وأنْ الساكنة الناصبة للمضارع ، وقد ولام الابتداء وضمير الفصل .. إلخ ، وهذا ليس له باب محدد يحصره ، بل يُعلم من سياق الكلام .

والنحاة على أن المراد من التوكيد بكل صوره تقوية الكلام ، وذكر الزركشي العلة النفسية للتوكيد ، قال :" إنما يؤتى به للحاجة للتحرّز عن ذكر ما لا فائدة له فإن كان المخاطب ساذجاً ألقي إليه الكلام خالياً عن التأكيد وإن كان متردداً فيه حسُن تقويته بمؤكد ، وإن كان منكراً وجب تأكيده ، ويُراعى في القوة والضعف بحسب حال المنكر " [١١٥].

ومما ذكره الزمخشري في التوكيد :

أ- **التوكيد بالمصدر النائب عن فعله** : في قوله تعالى ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾(محمد :٤) قال :" فضرب الرقاب أصله : فاضربوا الرقاب ضرباً

---

[١١٣] - معجم المصطلحات البلاغية : ٦/٢.

[١١٤] الزركشي : البرهان في علوم القرآن : ٣٩٩/٢.

[١١٥] - نفسه : ٤٠٥/٢.

فحذف الفعل وقدّم المصدر ، فأنيب منابه مضافاً إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد ، لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه"[١١٦].

ب – **التوكيد بالمصدر المنصوب بفعل محذوف** : في قوله تعالى ﴿ **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾(النمل :٨٨) قال :" صنع الله من المصادر المؤكدة ، كقوله " وعدَ الله " و" صبغةَ الله " إلا أن مؤكده محذوف ... ونحوُ هذا المصدر إذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده ، وأنه ما كان ينبغي أن يكون إلا كما قد كان " [١١٧].

ج – **التوكيد بالمصدر** : أي المفعول المطلق المذكور فعله كما في قوله تعالى ﴿ **ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾(النساء:٦٥) قال :" تسليماً: تأكيد للفعل بمنزلة تكريره ، كأنه قيل : وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم " [١١٨].

د – **التوكيد بضمير الفصل** : يؤتى بضمير الفصل لتوكيد أمر سياقي خاص في الجملة ، وهو قصر معنى الخبر على المبتدأ وحده ، فهو لون من زيادة اللحمة والربط بين ركني الجملة الاسمية ، إذ إن وجوده يؤكد كون ذلك الخبر بعينه مقصوراً على المبتدأ ، ومن ذلك :

١– في قوله تعالى ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ**﴾ (الأعراف:١١٥) قال :" وقولهم " إما أن نكون نحن الملقين " فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر ، أو تعريف الخبر وإقحام الفصل ، وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراءً لشأنهم وقلة مبالاته بهم ، وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي ، وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً " [١١٩].

---

[١١٦]– الكشاف :٣١٦/٤ .
[١١٧]– نفسه : ٣٨٧/٣ – ٣٨٨ .
[١١٨] – نفسه : ٥٢٩/١ .
[١١٩]– نفسه : ٢/ ١٤٠ .

٢- في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾(التوبة:١٠٤) قال :" وهو للتخصيص والتأكيد ، وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين ، وقيل : معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردها ، فاقصدوه بها ووجهوها إليه " [١٢٠].

٣ - في قوله تعالى﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾(طه:٦٨)قال :" إنك أنت الأعلى" فيه تقرير لغلبته وقهره ، وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير ولام التعريف وبلفظ العلوّ وهو الغلبة الظاهرة ، وبالتفضيل " [١٢١].

قلت : ها هنا يظهر أثر التدبر السياقي ، فالنحوي قد يشغله هنا إعراب ضمير الفصل ، لكن قلة من النحاة منهم الزمخشري تجاوزت هذه النظرة المعيارية والمعرفة الإعرابية وتعاملت مع النصوص وعناصر السياق للبحث عن القيم الجمالية للتراكيب اللغوية .

* * *

١٠- حروف المعاني [١٢٢]:

حروف المعاني نثرها النحاة الأوائل في مثاني كتبهم كما فعل سيبويه علي سبيل المثال ، ولكن بعضهم أفردها بدرس خاص ، بل وضعوا لها كتباً مفردة، وهي كثيرة نذكر منها للمتقدمين كتاب" حروف المعاني " للزجاجي (ت:٣٤٠) وكتاب " معاني الحروف " للرماني (ت: ٣٨٤) وأفرد لها ابن هشام من المتأخرين قسماً خاصاً من كتابه " مغني اللبيب " وكذلك السيوطي في الإتقان ، حيث عدّها من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر لكتاب الله عز وجل .

وقد جعلها ابن الأثير ضمن " الصناعة المعنوية " وقال :" وهذا موضع لطيف المأخذ دقيق المغزى ، وما رأيت أحداً من علماء هذه الصناعة تعرض إليه ولا ذكره

١٢٠- نفسه : ٢/ ٣٠٨ .

١٢١- نفسه : ٣/ ٧٤ .

١٢٢ - معجم المصطلحات البلاغية : ٤٢٩/٢ ، وقد أوردها المعجم بعنوان " الحروف العاطفة والجارة " .

وما أقول إنهم لم يعرفوه ، فإن هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى ؛ لأنه مذكور في كتب العربية جميعها ، لست أعني بإيراده هاهنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تُتبع "المعطوفَ " المعطوفَ عليه في الإعراب ، ولا أن الحروف الجارة تجر ما تدخل عليه ، بل أمراً وراء ذلك ، وإن كان المرجع فيه إلى الأصل النحوي ،فأقول : إن أكثر الناس يضعون هذه الحروف في غير مواضعها " [١٢٣].

إن كلام ابن الأثير هنا يدخل في صلب دراستنا هذه ، فهو يعلم أن المهاد النحوي لدرس حروف المعني قائم مشهور ، لكن دخولها عالم التحليل البلاغي والجمالي قليل إنه يبحث " أمراً وراء ذلك ، وإن كان المرجع فيه إلى الأصل النحوي " كما هي عبارته .

وحروف المعاني كثيرة متنوعة ومعانيها السياقية متشعبة إلى حد كبير ، كما يقول العلامة محمود شاكر رحمه الله :" وحروف المعاني التي يتناولها هذا القسم الأول من جمهرة علم القرآن العظيم أصعب أبواب هذه الجمهرة لكثرتها وتداخل معانيها ، فقلّ أن تخلو آية من القرآن العظيم من حرف من حروف المعاني ، أما المشقة العظيمة فهي في وجوه اختلاف مواقع هذه الحروف من الجمل ، ثم اختلاف معانيها باختلاف مواقعها ، ثم ملاحظة الفروق الدقيقة التي يقتضيها هذا الاختلاف في دلالته المؤثرة في معاني الآيات ، وهذا وحده أساس علم جليل من علوم القرآن العظيم " [١٢٤] ويقول في موضع آخر :" إنه مهما اختلف المختلفون في شأن " البلاغة " فالذي لا يمكن أن يدخله الاختلاف هو أن تركيب الكلام على أصول النحو والصرف هو الذي يُحدث في كلام ما ميزة يفوق بها كلاماً آخر ، وهذا لا يتيسر معرفته إلا بتحليل اللغة وتحليل مفرداتها وأدواتها ، وروابطها التي هي حروف المعاني .." [١٢٥].

وسوف نختار منها – لكثرتها – حروف الجر ومجموعة أخرى متنوعة لننظر كيف درسها الزمخشري في الكشاف .

١٢٣- ابن الأثير:المثل السائر:٢/٤٦ .

١٢٤- ص (د) من تقديمه لكتاب " دراسات لأسلوب القرآن العظيم " للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة رحمه الله ، ط دار الحديث ، القاهرة د.ت .

١٢٥- نفسه : ص (و) من المقدمة .

أولاً : حروف الجر :

مجموعة حروف سميت باسم عملها النحوي ، وهو جر الاسم الذي بعدها أو ما يقوم مقامه كالمصدر المؤول ، ولكل منها معان واستعمالات متنوعة ، وبعضها يحل محل بعض أحياناً لدواع سياقية ، وتقوم بمهمة الربط بين أجزاء الجملة .

ولهذه الحروف معان عامة مشهورة جمعتها كتب النحو ، ومعان سياقية لا تتضح إلا بتدبر السياق ، ومن ذلك في الكشاف :

– **لام الجر** : ذكر لها ابن هشام في المغني اثنين وعشرين وجهاً ، وبعضها تحته فروع [١٢٦] وهذا من ولع المتأخرين بالتقسيم والتفريع ، وهو وإن كان مفيداً أحياناً ، فإنه يشتت الذهن أحياناً أخرى ، ويصعّب مهمة النحو والنحوي إذا كان بسبيل تعليم النحو والبيان الجميل ، وأيّاً كان معناها فإن عملها النحوي واحد هو الجر ظاهراً أو مقدراً .

ومن الدلالات السياقية للام الجر في القرآن مما ذكره الزمخشري :

١– تفيد معنى الاختصاص في قوله تعالى ﴿ **قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا**﴾ (التوبة:٥١) قال الزمخشري :" واللام في قوله تعالى " إلا ما كتب الله لنا " مفيدة معنى الاختصاص ، كأنه قيل : لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله به بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة " [١٢٧].

٢– في قوله سبحانه ﴿ **قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (التوبة:٦١) قال :" فإن قلت : لم عدّى فعل الإيمان بالباء إلى الله تعالى ، وإلى المؤمنين باللام ؟ قلت : لأنه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعُدِّي باللام " [١٢٨].

---

١٢٦ – مغني اللبيب : ١ / ٢٢٨ – ٢٤٥ .
١٢٧ – الكشاف : ٢/ ٢٧٨ .
١٢٨ – نفسه : ٢/ ٢٨٥ .

٣ – في قوله تعالى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ﴾ (يونس:٢) قال :" فإن قلت : فما معنى اللام في قوله (أكان للناس) ؟ وما هو الفرق بينه وبين قولك : أكان عند الناس عجباً ؟ قلت : معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ، ونصبوه علماً لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وإنكارهم ، وليس في " عند الناس " هذا المعنى " [١٢٩] .

٤ – في قوله تعالى ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ (يوسف:٥) قال :" فإن قلت : هلا قيل : فيكيدوك كما قيل : فكيدوني ؟ قلت : ضُمِّنَ معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة الفعل المضمن ، فيكون آكد وأبلغ في التخويف " [١٣٠] .

قلت : التضمين بمعنى إشراب فعل معنى فعل آخر فيعمل عمله ويأخذ متعلقاته ، والفعل كاد يكيد يتعدى بنفسه دون حرف الجر كما ورد في آيات أخرى لكنه هنا عُدّي بحرف الجر لتضمنه معنى فعل آخر مثل : فيعملوا لك عملاً ضاراً أو : فيدبروا لك مكيدة ، لهذا عدي باللام .

٥ – في قوله تعالى﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾(الإسراء:١٠٩) قال : " فإن قلت: حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت : خر على وجهه وعلى ذقنه ، فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه ؟ قال :

فخر صريعاً لليدين والفم [١٣١]

قلت : معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به ، لأن اللام للاختصاص"[١٣٢].

– **على** : حرف جر يفيد الاستعلاء ، ولعله منقول من الفعل " علا يعلو" ومُيز الحرف عن الفعل بالألف المقصورة ، ولكن له مع الاستعلاء الذي هو أصل معناه معان أخرى تعددها كتب النحو .

---

١٢٩ – نفسه : ٢/ ٣٢٧ .

١٣٠ – نفسه : ٢/ ٤٤٤ .

١٣١ – البيت لجابر بن حني بن حارثة التغلبي ، وصدره : تناوله بالرمح ثم انثنى له ، وقد ذكر ابن هشام أن المعنى الثاني عشر للام يفيد الاستعلاء ، ثم استشهد بالآية المذكورة ، فجعل اللام بمعنى على ، انظر : أوضح المسالك مع هامشه :٣/٣٢.

١٣٢ – الكشاف : ٢/ ٧٠٠.

ومن معانيه السياقية في القرآن:

١- في قولـــه تعالى ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (الأنبياء:٦١) قال :" فإن قلت : فما معنى الاستعلاء في على ؟ قلت : هو وارد على طريق المثل ، أي يُثبت إتيانه في الأعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه " [١٣٣].

قلت : ذلك وارد في قصة إبراهيم عليه السلام ، وقد كانوا يريدون به كيداً عظيمـــاً فجاء الفعل معدى بعلى التي تفيد الاستعلاء والظهور ، وذلك ليكون النكال به أوقع في النفوس وأشفى للغيظ .

٢ – في قوله تعالى﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾(طه :١٠) قال :" ومعنى الاستعلاء في " على النار " أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها ، كما قال سيبويه في " مررت بزيد " أنه لصوق بمكان يقرب من زيد ، أو لأن المصطلين بها والمتمتعين بها إذا تكنفوها قياماً وقعوداً كانوا مشرفين عليها ، ومنه قول الأعشى :

وبات على النار الندى والمحلَّقُ [١٣٤]

قلت : وقد يكون على حذف المضاف بتقدير " على ضوء النار " .

– **في** : حرف جر يفيد الظرفية ، أي كأنه وعاء تكون فيه أشياء .. ثم له بعد ذلك دلالات سياقية ، ومما ذكره الزمخشري :

١- في قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (سبأ:٢٤) قال " فإن قلت : كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال ؟ قلت : لأن صاحب الحق كأنه مستعلٍ على فرس جواد يركضه حيث شاء ، والضـــال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه " [١٣٥].

---

١٣٣ – نفسه : ٣/ ١٢٤ .

١٣٤ – نفسه : ٣ / ٥٣ ، والمحلق رجل نزل به الأعشى فأكرمه فقال شعراً منه الشاهد .

١٣٥ – الكشاف : ٣/ ٥٨٢.

٢- في قوله تعالى ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾(طه : ٧١) قال :" شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه،فلذلك قيل"في جذوع النخل"[١٣٦].

قلت : كأن فرعون لشدة غيظه وطغيانه أراد أن يثبتهم في الجذوع بقوة كأنهم بداخلها لا يستطيعون فكاكاً.

٣ - في قوله تعالى ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ (الشورى: ٢٣) قال :" فإن قلت : هلا قيل : مودة القربى ، أو : إلا المودة للقربى ، وما معنى قوله " إلا المودة في القربى " ؟ قلت : جُعلوا مكاناً للمودة ومقراً لها ، كقولك : لي في آل فلان مودة ، ولي فيهم هوى وحب شديد ، تريد : أحبهم وهم مكان حبي ومحله ، وليست " في " بصلة للمودة ، كاللام إذا قلت : إلا المودة للقربى ، إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك : المال في الكيس ، وتقديره : إلا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها " [١٣٧] .

٤- في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ (التوبة:٦٠) قال : " فإن قلت : لمَ عدل عن اللام إلى " في " في الأربعة الأخيرة ؟ قلت : للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره ، لأن " في " للوعاء ، فنبه على أنهم أحقّاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنةً لها ومصبّاً ... وتكرير " في " في قوله " وفي سبيل الله وابن السبيل " فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين " [١٣٨] .

- **من** : حرف جر له معان كثيرة منها التبعيض وابتداء الغاية وبيان الجنس وعدّد ابن هشام منها خمسة عشر معنى،وذكر أن أكثرها يرجع إلى ابتداء الغاية[١٣٩].

ومن معانيها السياقية في القرآن مما ذكره الزمخشري :

---

١٣٦ - نفسه : ٣/ ٧٦ .
١٣٧ - نفسه : ٤/ ٢١٩ .
١٣٨ - نفسه : ٢/ ٢٨٣ .
١٣٩ - انظر : مغني اللبيب : ١/ ٣٥٣ وما بعدها .

١- في قوله تعالى﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾(الزمر:٢٢) قال:"وقرئ: عن ذكر الله ، فإن قلت : ما الفرق بين من وعن في هذا ؟ قلت: إذا قلت : قسا قلبه من ذكر الله ، فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه ، وإذا قلت : عن ذكر الله ، فالمعنى : غلُظ عن قبول الذكر وجفا عنه " [١٤٠].

قلت : الواقع يصدق ذلك ، إذ إن الغافلين اللاهين عن ذكر الله لا يقتنعون بما هم فيه ، بل يريدون لغيرهم ذلك كذلك ، ليكون الجميع في الشر سواء ، ولا يصبح هؤلاء منبوذين وحدهم في المجتمع ، وهم لهذا تقسو قلوبهم من الذكر بطريقين : طريق غفلتهم عنه ، وطريق ترك سماعهم له من غيرهم .

٢ – وعدد النحاة من أنواع " من " الزائدةَ للتوكيد والشمول ، ومنها التي في قوله تعالى ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾(إبراهيم:٣٨) قال: " ومن للاستغراق ، كأنه قيل لا يخفى عليه شيءٌ ما " [١٤١] ومن هنا داخلة على الفاعل " شيء " للتوكيد والشمول فهي تجره لفظاً ، لكن محله الرفع .

٣ – ومن الزائدة للتوكيد كذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (المائدة: ٧٣) قال :" مِنْ .. للاستغراق ، وهي المقدرة مع " لا " التي لنفي الجنس في قولك : " لا إله إلا الله " والمعنى : وما إلهٌ قط في الوجود إلا إلهٌ موصوف بالوحدانية لا ثانيَ له ، وهو الله وحدَه لا شريك له " [١٤٢].

قلت : الحرف من يزاد قبل المبتدأ والفاعل والمفعول أحياناً لزيادة التوكيد والإحاطة والشمول ، وهو كثير في القرآن ،كما في قوله تعالى﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾(المائدة : ١٩) فلفظ " بشير " فاعل الفعل " جاء " لكنه مجرور لفظاً في محل رفع .

---

١٤٠ – الكشاف : ٤/ ١٢٢ .
١٤١ – نفسه: ٢/ ٥٦٠ .
١٤٢– نفسه : ١/ ٦٦٤ .

– **حتى** : حرف متعدد الاستعمال ، ومن معانيه انتهاء الغاية والتعليل والعطف ، ومن عمله النحويّ الجر والنصب بأن مضمرة قبل المضارع [١٤٣].

وذكر ابن هشام أن هناك فروقاً بين حتى وإلى الجارتين ، وفي قوله تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا**﴾(الحجرات:٥) يفرق الزمخشري بينهما سياقياً بقوله :" فإن قلت : هل من فرق بين " حتى تخرج " و" إلى أن تخرج ؟ " قلت : إن " حتى " مختصة بالغاية المضروبة ، تقول : أكلت السمكة حتى رأسَها ، ولو قلت : حتى نصفها أو صدرها لم يجز ، وإلى عامةٌ في كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله ﷺ إليهم غايةٌ قد ضُربت لصبرهم ، فما كان لهم أن يقطعوا أمراً دون الانتهاء إليه " [١٤٤].

قلت : ذلك وارد في سياق معاتبة الذين أساءوا الأدب مع رسول الله فنادوه بأصوات مرتفعة وهو في بعض حجرات نسائه ليخرج إليهم ، وقد كان سيخرج إليهم لا ريب حين يفرغ من شأنه أو مع أول صلاة تصلى في المسجد ، فما كان ينبغي لهم فعل ذلك ، وحتى تفيد هذا المعنى ، أي الانتهاء إلى غاية مضروبة ، وذلك واضح في قوله تعالى ﴿ **سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾ على سبيل المثال .

* * *

ثانياً : حروف معانٍ أخرى متنوعة :

– **اللام** : وقد ذكرنا منها الجارة ، ولها استعمالات أخرى منها لام التعليل الناصبة للمضارع ، ولام الجحود ، ولام الابتداء ، ومن ذلك :

١ – لام التعليل في قوله تعالى ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا** ﴾ (القصص: ٨) قال الزمخشري :" اللام في " يكون " هي لام كي التي معناها التعليل كقولك : جئتك لتكرمني سواء بسواء ، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة ، لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً ، ولكن المحبة والتبني ، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته ، شُبه بالداعي

---

١٤٣ – انظر : مغني اللبيب : ١/ ١٣١ .
١٤٤ – الكشاف : ٤/٣٥٩ .

الذي يفـــعل الفاعلُ الفعلَ لأجله " [١٤٥] وهذه اللام سماها بعضهم لام العاقبة أو الصيرورة حين لمحوا فيها أن ما بعدها هو عاقبة الفعل ولو بعد زمان بعيد [١٤٦].

٢ – في قوله تعالى ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**﴾(الصف : ٨) قال: "أصله : يريدون أن يطفئوا ، كما جاء في سورة براءة ، وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الإرادة تأكيداً له ، لما فيها من معنى الإرادة في قولك : جئتك لإكرامك ، كما زيدت اللام في " لا أبا لك " تأكيداً لمعنى الإضافة في : لا أباك " [١٤٧].

٣ – لام الجحود في قوله تعالى﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ** ﴾(الأعراف:١٠١) قـــال :" ومعنى اللام تأكيد النفي ، وأن الإيمان كان منافياً لحالهم في التصميم على الكفر " [١٤٨].

٤ – لام الابتداء في ﴿ **وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا** ﴾ (مريم:٦٦) قال :" فإن قلت : لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال ؟ قلت : لم تجامعها إلا مخلصةً للتوكيد كما أخلصت الهمزة في " يا أله " للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف " [١٤٩].

قلت : اللام داخلة في سياق تساؤل الكفار : هل سيعادون أحـــياء بعـــد المـــوت ؟ وهي لذلك تؤكد استبعاد هؤلاء للعودة بعد الممات كما يظنون ، أما معنى التعـــويض في همزة " يا أله " فمعناه أن " أل " التعريف في لفظ الجلالة صارت كـــالجزء مـــن الكلمة لأنها تلزم لفظ الجلالة أبداً لا تفارقه ، فالألف واللام صارا جزءاً من الكلمة ، قال سيبويه :" وكأن الاسم – والله أعلم – إلهٌ ، فلما أدخل فيه الألف واللام حـــذف الألف وصارت الألف واللام خلفاً منها " [١٥٠].

– **الفاء** : ولها استعمالات كثيرة ، ومما ذكره الزمخشري :

---

١٤٥ – نفسه : ٣/ ٣٩٤ .
١٤٦ – انظر : الإملاء للعكبري : ٢/١٧٦.
١٤٧ – الكشاف : ٤/ ٥٢٥ .
١٤٨ – نفسه : ٢/ ١٣٥ .
١٤٩ – نفسه : ٣ / ٣١ .
١٥٠ – كتاب سيبويه : ٢/ ١٩٥ .

١- الفاء المشعرة بالسببية في قوله تعالى ﴿ **فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ** ﴾ (الروم:٣٨) قال :" فإن قلت : كيف تعلق قوله " فآت ذا القربى" بما قبله حتى جيء بالفاء؟ قلت: لما ذكر أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يترك " [١٥١].

٢- الفاء الواقعة في جواب الشرط المقدر﴿ **يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ** ﴾(العنكبوت :٥٦) قال :" فإن قلت : ما معنى الفاء في " فاعبدون" وتقديم المفعول ؟ قلت : الفاء جواب شرط محذوف ، لأن المعنى : إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها ، ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص" [١٥٢].

وقد لا يكون هنا شرط مقدر كما ذكر ، وتفيد الفاء مع ذلك العطف مع إشعارها بالسببية ، فالأرض الواسعة مدعاة للعبادة ، فإذا ضاقت بعبد في مكان رحل عنه إلى غيره ..

- **حرف التنفيس** : تستعمل السين المفردة وسوف في العربية قبل الفعل المضارع لتخلصا زمنه للمستقبل ، والمستقبل هنا مسألة سياقية ، خلافاً لما زعمه بعض النحاة من أن السين للقريب وسوف للبعيد ، والاستعمال القرآني لهما يخالف ذلك ومن استعمال السين في القرآن :

١ – في قوله تعالى﴿ **أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ** ﴾(التوبة:٧١) قال الزمخشري:" السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة ، فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك: سأنتقم منك يوماً ، تعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك " [١٥٣].

٢ – في قوله تعالى ﴿**كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ** ﴾(مريم:٧٩) قال :" فإن قلت كيف قيل: سنكتب بسين التسويف ، وهو كما قاله كُتب من غير تأخير ؟ قال الله تعالى ﴿**مَا يَلْفِظُ**

---

١٥١ – الكشاف : ٣/ ٤٨١ .
١٥٢ – نفسه : ٣ / ٤٦١ .
١٥٣ – نفسه : ٢/ ٢٨٩ .

مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(ق :١٨) قلت : فيه وجهان : أحدهما : سنُظهر له ونُعلمه أنّا كتبنا قوله ، على طريقة قوله :

إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمةٌ

أي تَبيّن وعُلم بالانتساب أني لست ابن لئيمة ، والثاني : أن المتوعد يقول للجـــاني: سوف أنتقم منك ، يعني أنه لا يخل بالانتصار وإن تطاول به الزمان واستأخر ، فجرد هنا لمعنى الوعيد " [١٥٤] .

قلت : المعلوم أن الكتابة تقع بعد أن يعمل العبد العمل مباشرة ، ففي السين هنا نوع من الوعيد والتهديد .

٣ – في قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ (النمل:٧) قال :" فإن قلت : كيف جاء بسين التسويف ، قلت: عدةً لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ ، أو كانت المسافة بعيدة " [١٥٥].

– **لا النافية** : وهي حرف نفي لا يعمل في اللفظ ، إنما عمله في المعنى، ومنها :

١– في قوله تعالى﴿وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾(الجمعة:٧) قال:" ولا فرق بين " لا " و " لن " في أن كل واحدة منهما نفي للمستقبل إلا أن في " لن " تأكيداً وتشديداً ليس في " لا " فأتى مرة بلفـــظ التأكيد في" ولن يتمنوه " ومرة بغير لفظه في " ولا يتمنونه " [١٥٦].

قلت : وقد فسّره الكرماني سياقياً أحسن من ذلك فقال :"في البقرة ﴿ **ولن يتمنّوه**﴾ (٩٥) وفي الجمعة ﴿**ولا يتمنّونه**﴾(٧) لأن دعواهم في هذه السورة" البقرة " بالغة قاطعة ، وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص ، فبالغ في الرد عليهم بلن ، وهو أبلغ ألفاظ النفي ، ودعواهم في الجمعة قاصرة مترددة ، وهي زعمهم أنهم أولياء الله ، فاقتصر على لا " [١٥٧] .

---

[١٥٤] – نفسه : ٣/ ٤٠ .
[١٥٥] – نفسه: ٣/ ٣٤٩ .
[١٥٦] – نفسه : ٤/ ٥٣١ .
[١٥٧] – الكرماني : أسرار التكرار : ٣٢ .

٢ – في قوله تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ ﴾ (فاطر:١٩-٢٠) قال :" فإن قلت: لا المقرونة بواو العطف ما هي ؟ قلت : إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي " [١٥٨].

– **قد** : حرف تحقيق وتوكيد ، يدخل على الماضي والمضارع ، قال الرماني :" وإذا دخلت على الماضي قربته من الحال ، وذلك قولك : قد جاء ولهذا حسن أن يقع الماضي في موقع الحال ، تقول : رأيتك وقد قام زيد ، أي في **هذا الحال**" [١٥٩].

ومن ذلك في الكشاف :

١ – في قوله تعالى ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾(النور:٦٤) قال :" أدخل" قد " ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ، ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعيد ، وذلك أن " قد " إذا دخلت على المضارع كانت بمعنى "ربما " **فوافقت** " ربما " في خروجها إلى معنى التكثير نحو قوله :

فإنْ تمسِ مهجورَ الفناءِ فربما أقام به بعدَ الوفود وفودُ [١٦٠]

٢– في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾(الصف:٥) قال :" فإن قلت : ما معنى قد في قوله " قد تعلمون " ؟ قلت: معناه التوكيد ، كأنه قال : وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه" [١٦١].

٣ – في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾(الأعراف:٥٩) قال :" لقد أرسلنا نوحاً " جواب قسم محذوف ، فإن قلت : ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا مع قد ، وقلّ عنهم نحو :

حلفتُ لها بالله حلفةَ فاجرٍ لناموا فما إنْ من حديث ولا صالي ؟

قلت : إنما كان ذلك لأن الجملةَ القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها ، التي هي جوابها ، فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى " قد " عند استماع المخاطب كلمة القسم " [١٦٢].

---

١٥٨ – الكشاف : ٣/ ٦٠٨ .

١٥٩ – الرماني :معاني الحروف:٩٨، ط٢ دار الشروق– جدة ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م.

١٦٠ – الكشاف : ٤/ ٥٢٤ ، والبيت من شعر لابن عطاء السندي يرثي به ابن هبيرة لما قتله المنصور العباسي (هامشه) .

١٦١ – نفسه : ٣ / ٢٦٠.

– **تاء القسم** : للقسم حروف متعددة هي الواو والباء والتاء والهاء في" لا ها الله " ومنه أسماء مثل : وايم الله ، وايمن الله .. وقال الرمـــاني في التاء :" إنها لا تعمل إلا في اسم الله تعالى في القسم .. وفيها معنى التعجب .. وإنما لم تعمل إلا في اسم الله عز وجل لأنها بدل من بدل ، وذلك أن الأصل في باب القسم الباء .. ثم يبدلون منها الواو لقرب إحداهما من الأخرى في المخرج والمعنى .. ثم أبدلوا الـــتاء من الواو .." [١٦٣] .

وفي استعمال التاء في قوله تعالى ﴿ **وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ** ﴾(الأنبياء: ٥٧) قال الزمخشري :" فإن قلت : ما الفرق بين الباء والتاء ؟ قلت : إن الباء هي الأصل ، والتاء بدل من الواو المبدلة منها ، وإن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب ، كأنه تعجب من تسهّل الكيد على يده وتأتّيه ، لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره " [١٦٤].

– **أنْ** : في قوله تعالى ﴿ **وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا**﴾(العنكبوت:٣٣) قال :" أن صلة أكدت وجود الفعلين مترتباً أحدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما ، كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كأنه قيل:كما أحس بمجيئهم فاجـــأته المساءةُ من غير ريث خـــيفةً عليهم من قومه"[١٦٥].

– **إنما** :حرف مؤكد يفيد القصر ، وهو مركب من إنّ الناصبة المؤكدة دخلت عليها ما الكافة فكفت عملها النحوي وأبقت لها التوكيد ، وفي قوله تعالى ﴿ **لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا** ﴾ (الحجر:١٥) قال :" وقال " إنما " ليدل على أنهم يبتّون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيراً للأبصار " [١٦٦].

– **أمّا** : حرف تفصيل وتوكيد ، وفيه معنى الشرط ، وهو يعطي الجملة نغماً صوتياً بهمزة القطع وغنة الميم المشددة والألف اللينة ، ولعلنا نحس هذا إذا فقدنا الحرف من

---

[١٦٢] – نفسه : ٢ / ١١٢ – ١١٣ ، والبيت لامرئ القيس .
[١٦٣] – معاني الحروف :٤١.
[١٦٤] – الكشاف : ٣/ ١٢٢ .
[١٦٥] – نفسه : ٣/ ٤٥٣ .
[١٦٦] – نفسه : ٢/ ٥٧٣ .

قوله تعالى﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾(البقرة : ٢٦) (البقرة:٢٦)

قال الزمخشري :" أما : حرف فيه معنى الشرط ، ولذلك يجاب بالفاء ، وفائدته في الكلام أن يعطيه فضل توكيد ، تقول : زيد ذاهب ، فإذا قصدت توكيد ذاك وأنه لا محالة ذاهب ، وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة قلت : أما زيد فذاهب ، ولذلك قال سيبويه في تفسيره : مهما يكن من شيء فزيد ذاهب ، وهذا التفسير مدل لفائدتين : بيان كونه توكيداً ، وأنه في معنى الشرط ، ففي إيراد الجملتين مصدرتين به إحمادٌ عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ، ونعيٌ على الكافرين إغفالَهم حظَّهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء" [١٦٧].

* * *

[١٦٧] – نفسه : ١/ ١١٧ .

الخاتمة

قرأت كثيراً عن تداخل بعض مباحث النحو مع البلاغة ، لكنه كان كلاماً نظرياً في أكثره ، ولم أطلع – فيما بلغني – على جهد عملي في المجال المصطلحي يتتبع مظاهر تلك العلاقة ويرصدها ويبين أوجه التلاقي والتمايز بين العلمين ، ومن هنا كانت دراستي هذه على إيجازها جهداً في هذا المجال المهم من الدراسات البينية التي عادت بقوة في هذا العصر إلى مجالات البحث العلمي سواء في العلوم التطبيقية أو الإنسانية .

وقد رصدت هذه الدراسة البدايات الأولى لأكثر مباحث البلاغة العربية – وبخاصة في علم المعاني – في رحم النحو العربي مع غيره من الدراسات اللغوية والنقدية المبكرة ، وقد رصدت كذلك اتفاق مسمى كثير من المصطلحات النحوية والبلاغية ثم بينت مع ذلك أوجه الاتفاق والاختلاف في مضمون المصطلح بين العلمين ، وكيف انماز الدرس البلاغي عن النحوي – حتى مع اتفاق المصطلح – بسمات خاصة جعلت من البلاغة علماً أو فناً قائماً بذاته ، وأوردنا من أقوال العلماء والشواهد ما ظنناه كافياً لإيضاح تلك العلاقة وبيان أصولها ، والله الموفق .

***

المصادر والمراجع

- الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي ، ط دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٤م .
- الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة ، محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق: د/عبد القادر حسين ط دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٨٢م.
- إملاء ما مَنّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، لأبي البقاء العكبري دار الفكر – بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- أوضح المسالك ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية – لبنان ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.
- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة الكرماني ، نشره عبد القادر أحمد عطا بعنوان : أسرار التكرار في القرآن ، ط٣ دار الاعتصام ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م .
- البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ط دار الفكر – لبنان ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- البلاغة تطور وتاريخ ، د/ شوقي ضيف ، ط ٩ دار المعارف – القاهرة ١٩٩٥م.
- بلاغة العرب في بيئات الإسلام ، د/مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٩٥م.
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن الميداني ، نسخة إلكترونية ضمن برنامج المكتبة الشاملة .
- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، د/محمد أبو موسى ، ط٢ مكتبة وهبة ، القاهرة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- التحرير والتنوير (التفسير) محمد الطاهر بن عاشور التونسي ، نسخة إلكترونية ضمن برنامج المكتبة الشاملة .
- الجملة في الشعر العربي ، د/ محمد حماسة عبد اللطيف ، ط١ مكتبة الخانجي ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .
- دراسات لأسلوب القرآن العظيم، للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة (مقدمة الشيخ أحمد شاكر) ط دار الحديث ، القاهرة د.ت .
- دلائل الإعجاز،عبد القاهر الجرجاني،ط١دار المعرفة- بيروت١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين بن عقيل ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، د.ن.
- الصناعتين،أبو هلال العسكري،ط٢ دار الكتب العلمية- لبنان١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

- علل التغيير اللغوي ، د/مصطفى زكي التوني ، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، الحسن بن رشيق القيرواني ، ط٥ دار الجيل - بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .
- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، د/ رجاء عيد ، منشأة المعارف - الإسكندرية د.ت .
- فواصل الآيات القرآنية - دراسة بلاغية دلالية ، د/السيد خضر ، ط٢ مكتبة الآداب - القاهرة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- كتاب سيبويه ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣ مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .
- الكشاف، الزمخشري ، ط٣ دار الريان للتراث ، القاهرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- اللغة الفنية ، د/محمد حسن عبد الله ، ط دار المعارف ، القاهرة د.ت.
- المثل السائر ، ضياء الدين ابن الأثير ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط المكتبة العصرية - لبنان ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق : فؤاد سزكين ، مكتبة الخانجي القاهرة د.ت.
- معاني الحروف ، للرماني ، ط٢ دار الشروق - جدة ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م .
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، للدكتور أحمد مطلوب ، ط المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري ، المكتبة العصرية ، لبنان ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، دار المعرفة- لبنان د . ت .
- نتائج الفكر في النحو ، أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي ، ط دار الكتب العلمية - لبنان ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- النحو والشعر- قراءة في دلائل الإعجاز ، د/ مصطفى ناصف ، مجلة فصول ، عدد : ٣ ، المجلد الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م .
- النقد العربي القديم والمنهجية، د/عبد القادر القط، مقال بمجلة فصول، مج :١،ع: ٣، ١٩٨١م.